



فرع الوزارة بمنطقة المدينة المنورة
إدارة المساجد بمحافظة بدر

وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

الدكتور ألطاف الرحمن بن ثناء الله





وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

الدكتور ألطاف الرحمن بن ثناء اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لاشك أن فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح ومعرفة مراد الله ومراد رسوله غاية كل مسلم يريد الاعتصام بالكتاب والسنة، ويريد الإيمان والعمل بمقتضاهما، ويريد الوقاية من المفاهيم الخاطئة، والنجاة من الفتن والطرق الضالة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتمسك بفهم الصحابة الكرام وعملهم.

والتمسك بفهم الصحابة وهديهم وطريقتهم والاقتداء بهم أساس النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وهو السبيل الأعظم لحفظ المجتمع المسلم وحفظ عقيدته وشريعته، وهو ضروري لإقامة الحياة الطبيعية للأمة على أساس دينها الحنيف وشريعتها الربانية، وهو الشاهد الحق على المتخاصمين والحكم العدل بين المتنازعين، وهو يغلق باب البدعة والإحداث في الدين، ويميز بين السنة والبدعة والهداية والضلال، ويعرف الصحيح من السقيم، والغث من السمين، والحق من الباطل، والحسن من القبيح، والراجح من المرجوح، ويحول بين تفسير النصوص الشرعية بالرغبة والهوى، ويعصم من التفرق والاختلاف المذموم، ويزيد بصيرة في الدين وفقها في التنزيل، ويورث اليقين والطمأنينة والراحة النفسية، ويقطع وساوس التوهم والاحتمال والإشكال، ويعطي منهجية قوية ثابتة راسخة واضحة المعالم متماسكة البناء، ويحمي من الاهتزاز والتزلزل والتهافت والانهزامية والانبهار والخلط والتناقض والاضطراب، ويرسخ في النفوس عظمة النصوص الشرعية وقداستها، ويبقي لها أهميتها وحجيتها وقوتها ووزنها وثقلها، والتنصل من الالتزام بفهمهم والعدول عن هديهم يسلب عظمة النصوص الشرعية من القلوب، ويورث تهوينها والتقليل والاستخفاف من شأنها، ويفتح الباب أمام الجهلة والمبتدعة وأهل الأهواء ليقرر ويقول في دين الله من شاء ما شاء، ويقود إلى أخطر أنواع البدع والانحراف والضلال، وينبئ عن فرط الجهل والغفلة أو شدة التجاهل والتعامي عن حقيقة مذهب الصحابة ومنهجهم وفهمهم وعلمهم وعملهم ونصحهم للأمة.

والتمسك بفهم الصحابة وعملهم من الاتباع المشروع الذي دلت عليه النصوص

الشرعية والإجماع والاعتبار الصحيح، وليس من التقليد المذموم البتة، بل هو يكسر أغلال الجمود والتقليد والتبعية بغير دليل ولا برهان، وينهى عن التعصب المذهبي ويحارب التعصب لآراء الرجال، ويقود إلى تجريد المتابعة للرسول ﷺ دون أحد سواه، ويهدي إلى الأخذ من الكتاب والسنة، ولا يغلق باب الاجتهاد والقياس والاستنباط لأهله، ولذلك الذين اتبعوا منهج الصحابة هم الذين كسروا أغلال الجمود والتقليد، وهم الذين قرروا حماية للدين أنه لا اجتهاد مع النص، وهم الذين قاموا بحراسة الدين وحمايته من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المفسدين.

والتمسك بفهم الصحابة وعملهم لا يمنع العقل من العمل والاستنباط والتفكير السليم والإضافة الجديدة، بل يدعو إلى إعمال العقل واستنباط المعاني والأحكام من النصوص الشرعية وإنزال الأحكام عليها والتدبر المستمر فيها، وفي الوقت نفسه يضبط هذا الاستنباط والتدبر، ويصحح مساره، ويطهره مما يعكر صفوه، ويقيه مما يؤخر مسيره، ويحرف مساره من بدع وخرافات وأهواء، ويوجهه الوجهة السليمة حتى لا يتقول متقول على شرع الله ودينه باسم الاستنباط والتدبر والقياس والانفتاح والتطور والتقدم والتحضر، فهو ليس كابحا للعقل، ولا حادا لنشاطه، ولا مانعا له من العمل.

والتزام فهم الصحابة وعملهم ليس دافعه الحماس القبلي ولا غريزة حب الآباء والأجداد؛ بل هو ثمرة لتعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ﷺ، وطاعة وامتثال واستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ولو كان تعظيمهم والتزام فهمهم وعملِهم لكونهم من الآباء والأجداد لامتد هذا التعظيم والتقديس والتفخيم لمن قبلهم من المشركين، كما فعل القوميون، أو لابتدأ بالخلف من الآباء والأجداد الأقربين.

والصحابة فهمهم للنصوص بشكل عام هو الفهم الأمثل، وعملهم بها هو التطبيق العملي للإسلام، فكانوا هم النموذج المحتذى لمن بعدهم، وإن جاز الخطأ على آحادهم وأفرادهم؛ فإنه من الممتنع أن يقولوا في كتاب الله الخطأ المحض، وأن يمسك الباقون عن الصواب، فلا يتكلمون به، فهذا محال[(١)]، وإن تنازعوا في شيء رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/١٣)، وإعلام الموقعين (٥/٥٧٢-٥٧٣ و٦/٣٧).

ورسوله، ونُظِر إلى ما كان عليه جمهورهم وأفاضلهم من السابقين الأولين والخلفاء الراشدين، وعُضَّ عليه بالنواجذ لدلالة النصوص الشرعية على ذلك.

والشريعة الإسلامية شاملة وكاملة وباقية وصالحة لكل زمان ومكان، وقد دلت النصوص الشرعية الكثيرة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، والتمسك بالنصوص الشرعية وتطبيقها والعمل بها وفق فهم الصحابة وعملهم ليس مقصورا على جانب من جوانب الحياة، وليس محصورا في بقعة من البقاع، ولا في وقت من الأوقات، بل هو كامل وشامل لجميع شعب الحياة وجوانبها، وصالح لكل زمان ومكان، وباق إلى يوم القيامة بقاء الشريعة الإسلامية.

وليس المقصود الرجوع إلى وسائل عصرهم في الحياة العمرانية بأساليبها في النقل والحمل والصنع والإنتاج والتعليم والتطبيب والبناء والإنشاء والتعمير والتشييد والتمصير، بل المقصود التمسك بمنهجهم في فهم النصوص، وتنزيلها على الواقع، والحكم في ضوئها على الوقائع والمستجدات، وربط الحياة الواقعية بالشريعة الإسلامية وتحقيق مناط الأحكام وفق منهجهم، وهذا لا يؤدي إلى تقهقر شأن المسلمين ولا إلى انكماش حضارتهم، ولا يعارض الرقي والتقدم والمدنية؛ بل هو مفتاح العز والنصر والرقي والسعادة والتمكين، والتقدم الحقيقي بمعناه الصحيح المتكامل من حيث الدين والدنيا لا يكون للمسلمين إلا بالتمسك بالشريعة التي جاء بها النبي ﷺ وعمل بها الصحابة، وتاريخ الإسلام شاهد على اطراد العلاقة بين التقدم والتمسك بالشريعة الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة وفق فهم الصحابة وعملهم[1].

وكان أقيم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤتمر عالمي بعنوان: (حقوق الصحابة وآل بيت النبي ﷺ وأزواجه ﷺ وفضلهم)، وذلك يومي الثلاثاء والأربعاء ١٣-١٤ شعبان ١٤٣٨هـ الموافق ٩-١٠ مايو ٢٠١٧م، وكنت قد شاركت في هذا المؤتمر ببحث عنوانه: (وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم)، وكان من البحوث المقبولة والمنشورة (١/٣٤٨-٤٥٦) من قبل إدارة المؤتمر، وقد أحببت نشره مستقلا للإفادة من غير تعرض لأصل البحث

---

(١) انظر للتفصيل: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية والرد على الشبهات حوله، للدكتور عبد الله الدميجي (ص: ١٢٥-٢٣٢).

بالحذف أو الإضافة، وأسأل الله تعالى أن يغفر لنا خطايانا وتقصيرنا، وأن يفقهنا في الدين، وأن يوفقنا للعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وفق فهم الصحابة وعملهم، وأن يلهمنا الرشد والصواب، وأن يثبتنا على الحق والهدى، وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبل مني هذا الجهد ويكتب له القبول وينفع له، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الدكتور ألطاف الرحمن بن ثناء الله

ضحى الأربعاء ١٤٣٩/١٠/٢٠هـ الموافق ٢٠١٨/٧/٤م

في مدينة رسول الهدى والحبيب المصطفى ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

إن مرتبة الصحابة ودرجتهم لأشرف المراتب وأعلاها فضلا وشرفا ومكانة وقدرا بعد الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والتسليم، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونصرة دينه، فجعلهم أصحاب نبيه ووزراءه، وجلساءه وندماءه، وأعوانه وأنصاره، وأرحامه وأصهاره.. وجعلهم حملة دينه، ونقلة شريعته، والدعاة إليه، والمدافعين عنه، والباذلين في سبيله كل غال ونفيس..

والصحابة رضوان الله عليهم رأوا النبي ﷺ، وآمنوا به، وتتلمذوا عليه، وتربوا بين يديه، وعاصروا الأحداث، وشاهدوا التنزيل، ورافقوا النبي ﷺ في السفر والحضر، ولازموه ملازمة الظل لصاحبه، وأخذوا عنه الكتاب والسنة مشافهة بلا واسطة، وتلقوا عنه هذا الدين غضا طريا، وفهموه حق الفهم، وطبقوه في جميع شعب حياتهم، وأدوه إلى من جاء بعدهم بكل تفانٍ وجد ونصح وأمانة وإخلاص، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل، فهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين من جاء بعدهم من الأمة، فكل خيرٍ ومعروف وإصابةٍ وحكمةٍ وعلمٍ ومعارفَ ومكارمَ عُرِفَتْ لدينا، ووصلت إلينا؛ فهو عن طريقهم، وبسبب

جدهم وجهدهم وجهادهم وبذلهم وعطائهم.

وحسبهم من الفضل والشرف والذكر الجميل أن الله عز وجل زكاهم، وأثني عليهم في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الصادق الأمين ﷺ، فشهد لهم بالإيمان والرضى وحسن العاقبة..، ووعدهم بالأجر الجزيل والمغفرة والحسنى.

ورغم ما تبوأه الصحابة الكرام من مكانة عالية ومقام رفيع فقد تعرض هذا الجيل الكريم المبارك لحملات العداء والتشويه في القديم والحديث، واستهدف من قبل شتى الطوائف ومختلف الفرق والجماعات وأصناف الناس، ولم يوفق فيهم بالموقف السليم والاعتقاد السديد إلا أهل الحق، أهل السنة والجماعة، المتبعون للنصوص الشرعية وفق فهم السلف الصالح، فكان لزاما عليهم أن يبرزوا ما لأولئك الأخيار من المكانة والفضل، وما لهم من الحقوق والواجبات على من جاء بعدهم، ومن هذا المنطلق أقيم هذا المؤتمر العالمي، والذي هو بعنوان: (**حقوق الصحابة وآل بيت النبي ﷺ وأزواجه ﷺ وفضلهم**)، وذلك في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، حفظه لله ورعاه، ووفقه وقادة هذه البلاد وشعبها وجميع المسلمين لكل خير، وحمى هذه الدولة الرشيدة وأهلها وجميع المسلمين من كل شر.

وقد أحببت المشاركة في هذا المؤتمر المهم، المقام في جامعتي الحبيبة التي درست فيها، ونهلت من معينها العذب الزلال، والآن أتشرف بالتدريس فيها، وذلك نظرا لأهمية موضوع المؤتمر ومحاوره، وشدة حاجة الناس إلى معرفة رسالته ومضامينه وأهدافه، واخترت أن تكون مشاركتي في المحور الأول منها، وذلك ببيان حق من حقوق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ألا وهو وجوب التمسك بفهمهم وعملهم، واتباعهم وسلوك سبيلهم، والاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم، والاهتداء بهديهم، والاستنارة بأنوارهم، فإن جميع الفرق المنحرفة تنتسب إلى الكتاب والسنة، ولا تجرؤ على التبرؤ منهما، فاتباع الصحابة والأخذ بفهمهم هو الفيصل في هذه الصورة بين الحق والباطل، وهو مناط النجاة والهداية، وهو سبيل النجاة والفلاح، ومخالفته من سبل الفرق الهالكة، ولذلك أحببت الكتابة في هذه الموضوع المهم، وإيضاحه وبيانه في ضوء الكتاب والسنة، مقرونا بأقوال أهل العلم الراسخين، الذين لهم عقل محمود وقدم صدق في الدين، من الصحابة والتابعين، فيمن بعدهم من أئمة الدين؛ ابتغاء مرضاة

الله تعالى، وخدمة لديني وعقيدتي التي أدين الله بها، وأرجو قبولها وذخرها وثوابها عند الله، وإصلاحا ونصحا لمن أخطأ في الفهم وجانبه الصواب، ومساهمة في بيان الحق وتقريره، ومشاركة في الرد على الباطل والتحذير منه، ودعوة لمن أخطأ فيه إلى إعادة النظر فيما هو عليه وذاهب إليه ومقبل عليه، والرجوع إلى الحق والهدى خير من التمادي في الباطل والردى.

وهذه ليست بأول كتابة في الموضوع، فقد سبق بالحديث عنه والكتابة حوله كثيرون قبلي في ثنايا كتبهم وأبحاثهم قديما وحديثا، ولهم فضل السبق في ذلك، ولكن لم أجد كتابا مفردا أو بحثا علميا محكما في ذلك، والموضوع لأهميته كان وما زال في حاجة إلى مزيد عناية واهتمام وبحث وكتابة وبيان وتقرير ونشر ودعوة، وعسى أن يكون بحثي هذا حلقة نافعة وإضافة جديدة في هذا الباب، وقد جعلت عنوانه (**وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم**)، وقسمته في تمهيد وثمانية مباحث، وخاتمة، وهي كما يلي:

تمهيد: التعريف بالصحبة والصحابة لغة واصطلاحا

المبحث الأول: دلالة القرآن الكريم على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

المبحث الثاني: دلالة الأحاديث النبوية على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

المبحث الثالث: دلالة الإجماع على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

المبحث الرابع: دلالة أقوال الصحابة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

المبحث الخامس: دلالة العقل والنظر في أحوال الصحابة على وجوب التمسك بفهمهم وعملهم

المبحث السادس: حث الأئمة على التمسك بفهم الصحابة وعملهم وتحذيرهم من مخالفتهم

المبحث السابع: إذا اختلفت آراء الصحابة وأقوالهم

المبحث الثامن: ذكر نماذج تطبيقية على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، وذلك لكونه هداية ووقاية من الانحراف والضلال

الخاتمة: وذكرت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات

منهجي في البحث: لقد عزوت الآيات القرآنية إلى مكانها في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية، وخرجت الأحاديث النبوية الشريفة وعزوتها إلى مصادرها الأصيلة بذكر اسم الكتاب ورقم الحديث، وفي الكتب المرتبة على طريقة المسانيد والمعاجم ذكرت رقم الجزء والصفحة والحديث. وبينت في الهامش المصادر التي استفدت منها،

وضبطت الكلمات التي رأيتها بحاجة إلى الضبط، وراعيت القواعد العامة لمناهج البحث الحديثة قدر المستطاع، وذكرت في الأخير قائمة المصادر والمراجع التي استفدت منها في هذا البحث، ليسهل على الدارسين والباحثين الرجوع إليها.

هذا وأشكر الله تعالى على توفيقه إياي لكتابة هذا البحث، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يرزقني الإخلاص، وأن يوفقني لخدمة دينه ونشره وإعلاء كلمته، وأن يغفر لي ذنوبي، إنه غفور رحيم عفو كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الدكتور ألطاف الرحمن بن ثناء الله
الأستاذ المساعد في قسم العقيدة، من كلية الدعوة وأصول الدين
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

تمهيد: التعريف بالصحبة والصحابة لغة واصطلاحا

أولا: التعريف بالصحبة والصحابة لغة: الصحابة على وزن فَعَالة، جمع صاحِبٍ على وزن فاعل، ولم تجمع في اللغة العربية كلمة –وهي على وزن فاعل– على وزن فعالة غير هذه الكلمة، قال ابن الأثير: (الصحابة بالفتح: جمع صاحب، ولم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا)(١).

وهي مشتقة من صحب، قال الفيومي: (صحبته أصحبه صحبة فأنا صاحب، والجمع صحب، وأصحاب، وصحابة)(٢).

ومعناها مقارنة شيء ومقاربته، قال ابن فارس: ("صحب" الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته)(٣).

وتطلق على القليل والكثير، وليس لها مقدار معين، قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: (لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلا كان أو كثيرا، كما أن القول مكلِّم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب، وجار على كل من وقع منه ذلك، قليلا كان أو كثيرا، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: صحبت فلانا حولا ودهرا وسنة وشهرا ويوما وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم)(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والأصحاب: جمع صاحب، والصاحب: اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها، لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرا، وصحبته سنة)(٥).

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١٢/٣).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٣٣٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣٥/٣).

(٤) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (١٩٣/١).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول (١٠٧٦/٣).

فالصحبة في اللغة مطلق المصاحبة والمقارنة والمقاربة، وتطلق على القليل والكثير، وليس لها قدر معين مخصوص.

ثانيا: التعريف بالصحابة شرعا: الصحابي في الاصطلاح الشرعي، عرف أهل العلم الصحابي بتعريفات، وفيما يلي ذكر جملة منها:

قال علي ابن المديني: (من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار؛ فهو من أصحاب النبي ﷺ)(١).

وقال الإمام البخاري: (من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه)(٢).

وقال الإمام أحمد: (كل من صحبه سنة أو شهرا، أو يوما أو ساعة، أو رآه، فهو من أصحابه، وله من الصحبة على قدر ما صحبه)(٣).

وقال ابن الصلاح: (المعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة)(٤).

وقال الحافظ ابن كثير: (والصحابي من رأى النبي ﷺ في حال إسلام الرائي، وإن لم تطل صحبته، وإن لم يرو عنه شيئا، هذا قول جمهور العلماء خلفا وسلفا)(٥).

وقال الحافظ ابن حجر: (هو: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح)(٦)، وقال أيضا: (وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا: "به" يخرج من لقيه مؤمنا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل

---

(١) فتح الباري (٧/٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ضمن عنوان الباب الأول منه (ص: ٦١٢).

(٣) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (١/١٩٢).

(٤) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٤٨٦).

(٥) اختصار علوم الحديث مع الباعث الحثيث (٢/٤٩١).

(٦) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص: ٨٣-٨٤).

البعثة... وخرج بقولنا: "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمنا به، ثم ارتد ومات على ردته ودينه...، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد)[١].

فهذه جملة من أقوال أهل العلم في تعريف الصحابي، وهي كلها متفقة في الدلالة على أن من لقي النبي ﷺ في حالة الإيمان ومات على ذلك فهو من الصحابة، وأنه لا يشترط لذلك طول الصحبة أو الرواية أو الغزو والجهاد معه ﷺ، وهذا التي يتفق مع المعنى اللغوي للصحبة، فإنه يقع على القليل والكثير، ولذلك يقال: صحبته سنة أو شهر أو ساعة.

ومما يدل على شمول وصف الصحبة لمن صحبه زمنا يسيرا بل رآه مؤمنا به ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم»[٢].

والشاهد في هذا الحديث قوله ﷺ: «فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟» فالسائل هنا يسأل المسلمين عن وجود صحابي فيهم ولكنه عبر بمن رأى النبي ﷺ، ثم يسألهم سؤالين آخرين، يسألهم عن وجود تابعي وتابع تابعي ولكنه يعبر في السؤالين بلفظ الصحبة، فهذا دليل واضح على أن من رأى النبي ﷺ في حالة الإيمان فهو من الصحابة[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أَوَلسنا إخوانَك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»...الحديث[٤].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/٤-٥).

(٢) أخرجه البخاري (ك: فضائل الصحابة ح: ٣٦٤٩)، ومسلم (ك: فضائل الصحابة ح: ٢٥٣٢)، واللفظ له.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٨/٣٨٦-٣٨٧).

(٤) أخرجه مسلم (ك: الطهارة ح: ٢٤٩).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أني لقيت إخواني»؛ فقال أصحاب النبي ﷺ: «أو ليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»[(١)].

فالحديثان يدلان على كون اللقاء والرؤية الحد الفاصل بين الصحابة وغيرهم؛ فمن آمن به ورآه ولقيه فهو من الصحابة، ومن لم يره ولم يلقه ولكن آمن به فهو من الإخوان الذين كان يود النبي ﷺ رؤيتهم ولقاءهم[(٢)].

ومعلوم أن رؤية من رآه من الصحابة الذين لم يحظوا بسواها ليست مجرد رؤية بل إنها رؤية مقرونة بالإيمان بالنبي ﷺ واتباعه وطاعته والانقياد له ومحبته وتعظيمه وتوقيره وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه وتضحية كل شيء في سبيله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا ريب أن مجرد رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يقال: قد صحبه ولكن إذا رآه على وجه الاتباع له والاقتداء به دون غيره والاختصاص به، ولهذا لم يعتد برؤية من رأى النبي ﷺ من الكفار والمنافقين؛ فإنهم لم يروه رؤية من قصده أن يؤمن به ويكون من أتباعه وأعوانه المصدقين له فيما أخبر، المطيعين له فيما أمر، الموالين له، المعادين لمن عاداه، الذي هو أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم وكل شيء)[(٣)].

ولذلك رؤيتهم للنبي ﷺ ليست رؤية مُجَرَّدة مثل رؤية الكفار والمنافقين بل إنها لرتبة منيفة ومكانة عظيمة، وكيف لا، ولرؤيته ولقائه وقربه ﷺ من الخير والبركة والنور والضياء والفرح والسعادة ما لا يجحده إلا منكوس القلب ومطموس البصيرة، وأسأل الله السلامة والعافية من ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/٢٠ ح: ١٢٥٧٩) من طريق جسر بن فرقد، عن ثابت عن أنس، ورواه أبو يعلى (١١٨/٦ ح: ٣٣٩٠)، والطبراني في الأوسط (٣٤١/٥ ح: ٥٤٩٤) كلاهما من طريق محتسب بن عبد الرحمن، عن ثابت به نحوه، وجسر بن فرقد ومحتسب بن عبد الرحمن كلاهما ضعيفان، ولكن متابعة أحدهما الآخر تقوي الرواية، وكذلك يشهد لها الحديث السابق.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٣٨٩/٨)، والانتصار للصحابة الأخيار (ص: ٢١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٣٨٨/٨)، وانظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٨٩/٥-٩٠)، والموافقات للشاطبي (٤٦٢/٤-٤٦٣).

المبحث الأول: دلالة القرآن الكريم على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

إن الله عز وجل ذكر الصحابة في القرآن الكريم ومدحهم وأثنى عليهم كثيرا، بل كل ما ورد القرآن الكريم في مدح المؤمنين والثناء عليهم الصحابة داخلون فيه دخولا أوليا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كل ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ومدحهم والثناء عليهم فهم أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة)(١)؛ فالصحابة رضوان الله عليهم جاء ذكرهم الجميل في القرآن الكريم بكثرة وبأساليب متنوعة، وفيما يلي ذكر جملة من الآيات القرآنية الدالة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، ووجوب اتباعهم والاهتداء بهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة: ١٠٠].

عن أبي صخر حُمَيد بن زياد قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي يوماً: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان من رأيهم؟ وإنما أريد الفتن، فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ، وأوجب لهم الجنة في كتابه، محسنهم ومسيئهم؛ قلت: في أي موضعٍ أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ فقال: سبحان الله! ألا تقرأ قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ... ﴾ إلى آخر الآية، فأوجب الله عز وجل لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشَرَطَ على التابعين شرطاً لم يَشْرطه عليهم؟ قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بأعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك؛ قال أبو صخر: فوالله لكأني لم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها عليَّ محمد بن كعب(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٤٩-٥٠).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٥٥/١٤٦-١٤٧، ترجمة محمد بن كعب بن حيان القرظي برقم: ٦٩٣١).

يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان)[1] وقال أيضا: (فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة... فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة محمد... ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم. وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم)[2].

فالله عز وجل رضي عن الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار رضاء مطلقا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وأعد لهم الجنة وما فيها من النعيم، وذلك هو الفوز العظيم، فلو لم يكن اتباع الصحابة والأخذ بفهمهم وعملهم والاهتداء بهديهم حجة لما كان متبعهم بإحسان مستحقا لهذا الثناء والرضوان والأجر العظيم من الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء: ١١٥]

فمن شاقَّ الرسول ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين متوعد في هذه الآية الكريمة بالخذلان والنار وسوء المصير، وما كان عليه الصحابة لا شك أنه سبيل المؤمنين، فقد شهد الله لهم بالإيمان، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ ﴾[البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[الفتح: ١٨]، فالصحابة هم المقصودون في الدرجة الأولى بالمؤمنين المذكورين في آية النساء، ولذلك الذين جاؤوا بعدهم يجب عليهم

(١) الصارم المسلول (٣/١٠٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٣-٢٤).

اتباع سبيلهم، ويحرم عليهم اتباع سبيل غيرهم.

قال الإمام ابن أبي حاتم الرازي: (ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]الآية)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم، ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى، وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم، لكن لا ينفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول ﷺ)[٢]، وقال أيضا: (من ظن أنه يأخذ من الكتاب والسنة بدون أن يقتدي بالصحابة ويتبع غير سبيلهم فهو من أهل البدع والضلال، ومن خالف ما أجمع عليه المؤمنون فهو ضال)[٣].

فهذه الآية الكريمة توعد الله فيها من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين بالعذاب الأليم، ومشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين كلاهما متلازمان، وكل من الوصفين يقتضي الوعيد، فهذا دليل واضح على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ ومحبته واتباعه ونصرته، ودليل على حرمة مشاقة الرسول ﷺ ومعاداته، ودليل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وعلى رأسهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ودليل على حرمة سلوك سيبل غير سبيلهم والاهتداء بغير هداهم وهديهم.

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن خيرية هذه الأمة وأفضليتها على سائر الأمم، والصحابة يدخلون في ذلك دخولا أوليا، فهم المخاطبون بها في الأصل، وشهد الله لهم بالعدالة الظاهرة والباطنة، فالظاهرة بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والباطنة بإيمانهم بالله، وذلك دليل الإخلاص والاستقامة في الدين، وأنهم ماضون على الموافقة في جميع

---

(١) الجرح والتعديل (٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٣/١٩).

(٣) مختصر الفتاوى المصرية (ص: ٥٥٦).

الأحوال، وذلك يقتضي حجية فهمهم وعملهم.

قال الشاطبي: (سنة الصحابة -رضي الله عنهم- سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنويَّة، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها؛ كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣]، ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقًا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.

ولا يقال: إن هذا عام في الأمة؛ فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم؛ لأنا نقول:

أولا: ليس كذلك، بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص، ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

وثانيا: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب؛ فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول -عليه الصلاة والسلام- وهم المباشرون للوحي.

وثالثا: أنهم أولى بالدخول من غيرهم؛ إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم؛ فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح... فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط -أي: عدول- بإطلاق، وإذا كان كذلك؛ فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به)(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[لقمان: ١٥]

فهذه الآية الكريمة أمر الله تعالى فيها باتباع طريق من أناب إليه سبحانه، وأقبل عليه بالتوبة والتوحيد والطاعة والعبادة له وحده لا شريك له، وأول من يدخل في ذلك بعد النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، قال البغوي: (﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾؛ أي: دينَ من

(١) الموافقات (٤/٤٤٦-٤٤٩).

أقبل إلى طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه)[1].

وقال ابن القيم: (وكل من الصحابة منيب إلى الله؛ فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله، والدليل على أنهم منيبون إلى الله تعالى أن الله تعالى قد هداهم، وقد قال: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣])[2].

فهذه الآية الكريمة فيها أمر من الله عز وجل باتباع سبيل المنيبين إليه سبحانه، وصحابة رسول الله ﷺ من المنيبين إليه بلا شك، فيجب علينا معشر المسلمين اتباع سبيليهم وسلوك طريقهم والاهتداء بهديهم، وذلك امتثالا لأمر الله عز وجل، وابتغاء لمرضاته، وطلبا لرحمته وهدايته، ورغبة في دار كرامته، جعلني الله وإياكم من أهلها.

وقال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧]

فقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ يدل على وجوب الأخذ بالكتاب والسنة، لأن الكتاب والسنة كلاهما يهديان إلى الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يدل على وجوب الأخذ بفهم المنعم عليهم المهتدين، وهم من هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ بلا ريب.

قال ابن القيم: (وتأمل سرا بديعا في ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره؛ فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح) وقال أيضا: (إنه سبحانه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

١ – منعم عليهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه.

(١) معالم التنزيل (٦/٢٨٨).

(٢) إعلام الموقعين (٥/٥٦٧).

٢- ومغضوب عليهم، وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه.

٣- وضالون، وهم الذين جهلوه فأخطأوه.

فكل من كان أعرف للحق وأتبع له كان أولى بالصراط المستقيم، ولا ريب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم هم أولى بهذه الصفة من الروافض... ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وهو كما فسروه، فإنه صراطهم الذي كانوا عليه هو عين صراط نبيهم، وهم الذين أنعم الله عليهم وغضب على أعدائهم...)[1].

فالاستقامة على الصراط المستقيم لا تتم على الوجه الصحيح إلا باتباع صراط المنعم عليهم، وهم صحابة رسول الله ﷺ من هذه الأمة بلا ريب، فمن اتبع سبيلهم، ومشى على طريقهم ودربهم، واقتفى آثارهم كان من أهل الهداية والسعادة والصراط السوي، ونجا من الغواية والضلال والعذاب والغضب الإلهي، وأما من يترك سبيلهم ويهتدي بغير هداهم ويتبع غير سننهم ويمشي على غير طريقهم فهو دائر بين الغضب والضلال، وسائر إلى العذاب والشقاء والتباب، ولا عاصم إلا الله، ولا توفيق إلا بالله، فهو المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٦ و١/٧٥-٧٦).

المبحث الثاني: دلالة الأحاديث النبوية على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

لقد ثبت عن النبي ﷺ في فضائل الصحابة على العموم والانفراد أحاديث كثيرة جدا، وهي لا تحصى إلا بكلفة، وقد أفردها جماعة من أهل العلم بتصانيف مستقلة، وفيما يلي ذكر جملة من تلك الأحاديث الدالة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، والاهتداء بهديهم واقتفاء آثارهم:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

قال موفق الدين ابن قدامة المقدسي: (وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»)[2].

وقال الشاطبي: (فقرن عليه السلام كما ترى سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأن من اتباع سنته اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك، ليس منها في شيء؛ لأنهم رضي الله عنهم فيما سنوه إما متبعون لسنة نبيهم عليه السلام نفسها، وإما متبعون لما فهموا من سنته ﷺ في الجملة والتفصيل على وجه يخفى على غيرهم مثله لا زائدة على ذلك)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (ك: السنة ح: ٤٦٠٧)، واللفظ له، والترمذي (ك: العلم ح: ٢٦٧٦)، وابن ماجه (المقدمة ح: ٤٢)، وابن حبان كما في الإحسان (المقدمة ح:٥)، والحاكم (ك: العلم ١/٩٥-٩٧)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وكذلك صححه الألباني في الإرواء (٨/١٠٧-١٠٩ح: ٢٤٥٥).

(٢) لمعة الاعتقاد [ضمن جامع المتون] (ص: ١٠٧)، وانظر: الإرشاد إلى توضيح لمعة الاعتقاد (ص: ٤٠-٤١).

(٣) الاعتصام (١/٣٣٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ففي هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وبين أن المحدثات التي هي البدع التي نهى عنها ما خالف ذلك)[1].

فالشاهد هنا أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، وقرنهما وجمع بينهما، وكان ذلك في وقت قريب من وقت وفاته ووداعه لأمته ومفارقته لهم، مع إخباره ﷺ عن وقوع الاختلاف الشديد في الأمة، ولذلك التمسك بفهمهم والاهتداء بهديهم واقتفاء آثارهم وقاية من التفرق والزيغ والضلال، وسبب للهداية والنجاة واجتماع الكلمة ووحدة الصف، ولا سيما وقت الفتن واضطراب الأوضاع وتناقض الآراء والأفهام.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣][2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا تأمل العاقل الذي يرجو لقاء الله هذا المثالَ، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام، مثل: الكرامية، والكلابية، والأشعرية وغيرهم، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب- وجدتَ أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم الذي لا يتكلم عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)[3].

وقال ابن القيم: (وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جورا عظيما عن الصراط، وقد يكون يسيرا، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله، وهذا كالطريق الحسي، فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جورا فاحشا،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣١/٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٧/٢٠٧-٢٠٨ ح: ٤١٤٢)، والبزار (٥/١٣١ ح: ١٧١٨)، وابن حبان كما في الإحسان (المقدمة، ١/١٨٠-١٨١ ح: ٦-٧)، والحاكم (ك: التفسير، ٢/٣١٨) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد).

(٣) مجموع الفتاوى (٣١/٣٧).

وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله وأصحابه عليه، والجائر عنه: إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجرا واحدا، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله أو تفريطهم)[١].

فالميزان الذي يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولذلك التمسك بالكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان والاهتداء بهديهم واقتفاء آثارهم وقاية من الضلال والانحراف، وسبب للسلامة والنجاة، ولا سيما وقت الفتن، ووجود دعاة الضلالة، وكثرة طرق الغواية والضلال وتشعبها، فهذا هو السبيل الآمن الوحيد الموصل إلى رضوان الله تعالى ودار كرامته.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي: الجماعة»[٣].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «إن أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وإن هذه الأمة ستفترق

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود (ك: السنة ح: ٤٥٩٦)، والترمذي (ك: الإيمان ح: ٢٦٤٠)، وابن ماجه (ك: الفتن ح: ٣٩٩١)، وابن حبان كما في الإحسان (ك: التاريخ، ح: ٦٢٤٧)، والحاكم (ك الإيمان، ٦/١ و١٢٨) قال الترمذي: (حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح)، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح: ٢٠٣)، وفي إسناد الحديث محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، وهو حسن الحديث، ولكن لما له من الشواهد يصل إلى درجة الصحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (ك: الفتن ح: ٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٢/١ ح: ٦٤)، وصححه الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن (٢٩/١)، والألباني في ظلال الجنة (ح: ٦٤).

على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[2].

والفرقة الناجية في هذه الأحاديث وصفت بالجماعة، والجماعة التي فهمت نصوص الوحيين وعملت بهما على مراد الله ورسوله هي جماعة الصحابة، ولذلك جاء في طريق بلفظ: «ما أنا عليه وأصحابي»، فهذا دليل على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، ولا سيما وقت حدوث الافتراق في الأمة، وظهور أهل الأهواء والبدع فيهم.

قال أبو محمد البربهاري ٣٢٩هـ: (والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم، ورحمهم الله أجمعين- وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم، فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة)، وقال أيضا: (واعلم -رحمك الله- أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة؛ فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله مالا يعلم فهو من المتكلفين! والحق ما جاء من عند الله عز و جل، والسنة سنة رسول الله ﷺ، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَجَ[3] على أهل

---

(١) أخرجه أبو داود (ك: السنة ح: ٤٥٩٧)، وأحمد (١٣٤/٢٨-١٣٥ ح: ١٦٩٣٧)، وابن أبي عاصم (٧/١ ح: ٢)، والحاكم (ك: العلم ١٢٨/١)، وقال: (هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث)، وأقره الذهبي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٢/١): (هذا حديث محفوظ...)، وحسَّنه الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن (٢٩/١) والألباني في الصحيحة (ح: ٢٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (ك: الإيمان ح: ٢٦٤١)، والحاكم (ك: العلم ١٢٨/١-١٢٩) وغيرهما، وفي الإسناد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، وهو ضعيف، ولكن الحديث يرتقي إلى درجة الحسن لغيره لما له من الشواهد، ولذلك حسنه الترمذي والألباني وغيرهما. انظر للتفصيل: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم (١٥٩/١-١٨٠).

(٣) فَلَجَ؛ أي: ظفر وفاز وغلب على خصمه، انظر: النهاية في غريب الحديث (٤٦٨/٣).

البدعة كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي»، وبين لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال: «ما أنا عليه وأصحابي»، فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستنير)[(١)].

وقال الشاطبي: (الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والتابعون لهم بإحسان)، وقال أيضا: (فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا عليه وأصحابي»)[(٢)].

وعن أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّها ستكونُ فتنةٌ»، فقالوا: كيف لنا يا رسول الله؟! أو كيف نصنعُ ؟ قال: «ترجعون إلى أمْرِكم الأوَّلِ»[(٣)].

فالنبي ﷺ أخبر أمته عن وقوع الفتن فيها، فسأله الصحابة عن المخرج السليم منها وعن كيفية التعامل الصحيح معها، فأمرهم النبي بالرجوع إلى أمرهم الأول، وأمرهم الأول هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والنبي ﷺ كان خلقه القرآن، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أخذوا هذا الدين عن رسول الله ﷺ، وفهموه حق الفهم، وطبقوه في جميع شعب حياتهم، فالتمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتطبيقه في جميع ميادين الحياة قولا وعملا واعتقادا هو سبيل النجاة.

وعن عبد الله بن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيّها النّاس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: «أُوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرّجلُ ولا يستحلف، ويشهد الشّاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلونّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشيطان مع

(١) شرح السنة (ص: ٦٧و١٠٥-١٠٦).

(٢) الاعتصام (٢١/١ و٢٧٦/٣-٢٧٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨١/٣- ٢٨٢ ح: ٣٣٠٧)، والأوسط (٢٩٤/٨-٢٩٥ ح: ٨٦٧٩)، وفي إسناده عبد الله بن صالح، وفيه ضعف، ولكنه لم ينفرد به؛ بل تابعه يحيى بن عبد الله بن بكير، وهو في مرتبة الصدوق، ولا سيما في روايته عن الليث بن سعد، وهذه منها، وروايته عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٢١/٣ ح: ١١٨٤)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح: ٣١٦٥).

الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرّته حسنته وساءته سيّئتُه فذلكم المؤمن»[1].

فهذا الحديث النبوي فيه توصية من النبي ﷺ بالقرون الثلاثة: الصحابة والتابعين وأتباعهم، وذلك يقتضي محبتهم وإكرامهم وتعظيمهم، وقبول رواياتهم وأخذ العلم عنهم، والتمسك بفهمهم ومنهجهم وأخلاقهم وعملهم وعقيدتهم. وكذلك فيه أمر بلزوم الجماعة وتحذير من الفرقة، وبيان أن مفارق الجماعة عرضة للهلاك والوقوع في حبائل الشيطان، وأن لزوم الجماعة يوصل صاحبه إلى الجنة، ويستفاد من الجمع بينهما في هذا الحديث أن التمسك بما كان عليه أصحاب القرون المفضلة أمان من مكائد الشيطان وحبائله، وأمان من الغواية والضلال، ونجاة من الفرقة والاختلاف، وسبب لسلامة الإيمان ودخول الجنة، فهذا كله يدل دلالة واضحة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم ووجوب اتباعهم والاهتداء بهم.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «القرن الذى أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادَته»[4].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

---

(١) أخرجه الترمذي (ك: الفتن ح: ٢١٦٥)، وأحمد (١/٢٦٨-٢٦٩ ح: ١١٤)، وابن حبان (ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ح: ٧٢٥٤)، والحاكم (ك: العلم ١/١١٣) قال الترمذي: (حسن صحيح غريب)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (ك: الشهادات ح: ٢٦٥١)، ومسلم (ك: فضائل الصحابة ح: ٢٥٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (ك: فضائل الصحابة ح: ٢٥٣٦).

(٤) أخرجه البخاري (ك: الشهادات ح: ٢٦٥٢)، واللفظ له، ومسلم (ك: فضائل الصحابة ح: ٢٥٣٣).

الذين يلون الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم، وشهادتهم أيمانهم»[١].

فهذه القرون الثلاثة مشهود لها بالخيرية على لسان أصدق البرية، وقرن الصحابة منها هو خير القرون وأفضلها، قال النووي: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه)[٢]، وهذه الخيرية التي شهد لهم بها النبي ﷺ عامة، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (هذه الخيرية تعم فضلهم في كل ما يقرِّب إلى الله من قول وعمل واعتقاد)[٣]، وإذا كان لهم فضل السبق في جميع أبواب الفضائل والخير، فلا شك أن فهمهم للنصوص الشرعية وعملهم بها يكون أحسن وأفضل ممن جاء بعدهم، ولذلك الفهم الصحيح والعمل الصحيح الذي يجب التمسك به هو ما فهمه وعمل به أهل هذه القرون المفضلة، الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، وعلى رأسهم الصحابة الكرام.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «ما زلتم ههنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «أحسنتم –أو أصبتم» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[٤].

وقد عنون الإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي على هذا الحديث بلفظ: (ذكر البيان بأن الله جل وعلا جعل صفيَّه ﷺ أمنةَ أصحابِه، وأصحابَه أمنةَ أُمَّتِه)، وقال مبينا معناه: (يشبه أن يكون معنى هذا الخبر: أن الله جل وعلا جعل النجوم علامة لبقاء السماء وأمنة لها عن الفناء، فإذا غارت واضمحلت أتى السماء الفناء الذي كتب عليها، وجعل الله

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٢/٣٠ ح: ١٨٣٤٨)، وابن حبان (ك: التاريخ ح: ٦٧٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٢ و١٢٥/٤)، وقال في الموضع الثاني: (هذا حديث مشهور من حديث عاصم).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٨٤/١٦).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص: ١١).

(٤) أخرجه مسلم (ك: فضائل الصحابة ح: ٢٥٣١).

جل وعلا المصطفى أمنة أصحابه من وقوع الفتن، فلما قبضه الله جل وعلا إلى جنته أتى أصحابه الفتن التي أوعدوا، وجعل الله أصحابه أمنة أمته من ظهور الجور فيها، فإذا مضى أصحابه، أتاهم ما يوعدون من ظهور غير الحق من الجور والأباطيل)[(١)].

وقال أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (وقوله : «وأصحابي أمنة لأمتي»؛ يعني: أن أصحابه ما داموا موجودين كان الدين قائما، والحق ظاهرا، والنصر على الأعداء حاصلا، ولما ذهب أصحابه غلبت الأهواء، وأديلت الأعداء، ولا يزال أمر الدين متناقصا، وجَدَّه ناكصا إلى أن لا يبقى على ظهر الأرض أحد يقول: الله، الله. وهو الذي وعدت به أمته، والله تعالى أعلم)[(٢)].

وقد بوَّبَ الإمام النووي على هذا الحديث بلفظ: (باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة)، وقال في شرحه: (قال العلماء: الأمنة بفتح الهمزة والميم، والأمن والأمان بمعنى، ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله ﷺ: «وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون»؛ أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك، وقوله ﷺ: «وأصحابي أمنة لأمتي، فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ)[(٣)].

وقال ابن القيم: (ووجه الاستدلال بالحديث: أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزا من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به

(١) صحيح ابن حبان [الإحسان] (١٦/٢٣٤-٢٣٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٤٨٥).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/٨٣).

من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزا لهم وهذا من المحال)[1].

فالنبي ﷺ قرن الصحابة في هذا الحديث بالنجوم، والنجوم زينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، ورجوم للشياطين، فكذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين التمسك بفهمهم وعملهم، والاهتداء بهديهم، واقتفاء آثارهم، وسلوك سبيلهم زينة ومفخرة ورشد وهداية وتوفيق وفضيلة، وجُنَّةٌ ووقاية من البدع والانحراف والشبهات والشهوات، وحرز وأمان من شياطين الإنس والجن، وسلامة ونجاة من وساوسهم وأضاليلهم وأباطيلهم ودسائسهم ومكائدهم. ومن خالف هديهم وترك سبيلهم وقع فيما لا تحمد عقباه، وأتاه ما يوعد، ولذلك يجب على كل من يريد السلامة والنجاة أن يتمسك بفهم الصحابة وعملهم، وأن يهتدي بهديهم ويقتفي بآثارهم.

وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ في حديث طويل: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...» الحديث[2].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وأيم الله! لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» قال أبو الدرداء: صدق، والله! رسول الله ﷺ، تركنا والله، على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء[3].

فالنبي ﷺ ترك الصحابة على ملة قويمة ومحجة بيضاء ناصعة، ولم يكن لديهم خفاء ولا غموض، ولا لبس، ولا إبهام، ولا شكٌّ في شيء من أمور دينهم، والناس كلهم دونهم في هذا البيان والوضوح والظهور، وتبع لهم وعالة عليهم، ولذلك كل ما خفي وأشكل واشتبه على الناس من أمور دينهم فبيانه وجلاؤه وشفاؤه عند أصحاب رسول الله ﷺ وذلك بالعرض على علمهم وفهمهم، والاستنارة بأقوالهم وأفعالهم وآثارهم، والارتواء من معينهم.

---

(١) إعلام الموقعين (٥/٥٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، ك: السنة، ح: ٤٢)، وهو حديث صحيح، وقد سبق تخريجه من غير هذا اللفظ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، ك: السنة، ح: ٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/١٨-١٩ح: ٥).

المبحث الثالث: دلالة الإجماع على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم

إن أهل العلم الذين لهم عقل محمود وقدم راسخ في الدين كلهم متفقون على حجية فهم الصحابة وعملهم، وعلى وجوب اتباع سبيلهم والاهتداء بهديهم، وأن من أفضل علومهم وأحسن أعمالهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة وعملهم، وأن ترك سبيل الصحابة واتباع غير سبيلهم طريق إلى البدع والهوى وسبيل إلى الانحراف والضلال، ولا ينكر ذلك كله إلا من كابر المعلوم بالضرورة، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من كبار أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وفيما يلي ذكر جملة من أقوالهم:

قال الإمام الشافعي: (وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقلٍ وأمرٍ استدرك به علمٌ واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله)[1]. وقال أيضا: (والبدعة ما خالف كتابا أو سنة أو أثرا عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ)[2]. فذكر الإمام الشافعي أن جميع من أدركهم ممن يرضى أو حكي له كلهم كانوا يتمسكون بأقوال الصحابة، ولم يكونوا يخرجون عنها، وأنه كذلك يقول بقولهم، ولا يخرج عنهم، بل بين أن ما خالف أقوال الصحابة وخرج عنها فهو من البدعة في الدين.

وقال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل: (أصول السنة عندنا التمسك بما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع)[3]. وقال أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم، أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة

(١) إعلام الموقعين (٢/١٥٠).

(٢) إعلام الموقعين (٢/١٥١).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٧٦ رقم: ٣١٧).

وواسط وبغداد والشام ومصر؛ لقيتهم كَرَّاتٍ قرنا بعد قرن، ثم قرنا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة... فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء...، وما رأيت فيهم أحدا يتناول أصحاب محمد ﷺ...، وكانوا ينهون عن البدع ما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه)(١).

فالتمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم من أصول أهل السنة والجماعة، وعلماؤهم كلهم ينهون عن البدع، ويعدون ما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه من البدعة والإحداث في الدين.

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: (هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج عن الجماعة، وزائل من منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور وغيرهم، ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، فكان من قولهم: الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة... ومن السنة الواضحة البينة الثابتة المعروفة ذكر محاسنَ أصحابِ رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والذي شجر بينهم، فمن سَبَّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحدا منهم، أو طعن عليهم، أو عَرَّض بعيبهم، أو عاب أحدا منهم بقليل أو كثير أو دق أو جل، مما يُتَطرق به إلى الوقيعة في أحد منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا قَبِل الله صَرْفَه ولا عَدْلَه، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة)(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة -في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها-: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٣-١٩٦ رقم: ٣٢٠).

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة (ص: ٢٨-١٢٤)، وانظر: طبقات الحنابلة (١/٥٥و٦٣-٦٤).

عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم)[1]، وقال أيضا: (وكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة، وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم، ولا تجد إماما في العلم والدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضل والمناقب)[2]، وقال أيضا: (طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[3]، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين)[4].

وقال ابن القيم: (إنه لم يزل أهل العلم في كل عصر ومصر يحتجون بما هذا سبيله في فتاوى الصحابة وأقوالهم، ولا ينكره منكر منهم، وتصانيف العلماء شاهدة بذلك، ومناظرتهم ناطقة به. قال بعض علماء المالكية: أهل الاعصار مجمعون على الاحتجاج بما هذا سبيله، وذلك مشهور في

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٥٧-١٥٨).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٢١١-٢١٢).

(٣) جزء من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وهو حديث صحيح، وقد سبق في المبحث الثاني.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

رواياتهم وكتبهم ومناظراتهم واستدلالاتهم، ويمتنع والحالة هذه إطباق هؤلاء كلهم على الاحتجاج بما لم يشرع الله ورسوله الاحتجاج به ولا نصبه دليلا للأمة، فأي كتاب شئت من كتب السلف والخلف المتضمنة للحكم والدليل وجدت فيه الاستدلال بأقوال الصحابة، ووجدت ذلك طرازها وزينتها، ولم تجد فيها قط ليس قول أبي بكر وعمر حجة، ولا يحتج بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ وفتاويهم، ولا ما يدل على ذلك، وكيف يطيب قلب عالم أن يُقَدِّم على أقوال من وافق ربه تعالى في غير حكم، فقال وأفتى بحضرة الرسول ﷺ ونزل القرآن بموافقة ما قال لفظا ومعنى — قولَ متأخر بعده، ليس له هذه الرتبة، ولا ما يدانيها... فمستندهم في معرفة مراد الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله وهديه الذى هو يفصل القرآن ويفسره، فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولى بالصواب منهم في شيء من الأشياء؟ هذا عين المحال)[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير: (وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها)[(٢)].

فالحاصل: إن أهل العلم الذين يعتد بهم كلهم مجمعون على حجية فهم الصحابة وعملهم، وعلى وجوب اتباع سبيلهم والاهتداء بهم، وعلى بدعية كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة، وينهون الناس عنها ويحذرون منها.

---

(١) إعلام الموقعين (٦/٢٩-٣٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/٢٧٨-٢٧٩).

عن نافع، أنه سمع أسلم مولى عمر بن الخطاب، يحدث عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبا مصبوغا وهو محرم. فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين! إنما هو مَدَرٌ[1]، فقال عمر: إنكم أيها الرهط! أئمة يقتدي بكم الناس، فلو ان رجلا جاهلا رأى هذا الثوبَ لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئا من هذه الثياب المصبغة[2].

والمحرم يستحب له أن يكون إزاره ورداؤه أبيضين نظيفين، ويجوز بغير الأبيضين مما جرت عادة الرجال بلبسه، ولكن نهى عمر ﷺ الصحابة عن ذلك حتى لا يكونوا قدرة لغيرهم في ترك الأفضل، وما ذلك إلا لكونهم أئمة يقتدي بهم الناس، وكان هذا أمرا مقررا لديهم، ولذلك لم ينكر عليه طلحة ﷺ ولا غيره من الصحابة.

وعن حارثة بن مضرب الكوفي قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب ﷺ: إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، وهما من النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر وأحد، فاسمعوا، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم فاسمعوا، فتعلموا منهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي[3].

فقد أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أهل الكوفة بالاقتداء بعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، والتعلم منهما والسمع والطاعة لهما، وهما من آحاد الصحابة ونجبائهم، وذلك دليل على حجية قول الصحابة وفعلهم، ووجوب التمسك بهما.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية[4] اجتمعوا في دار،

---

(١) أي: مصبوغ بالمدر، وهو الطين اليابس، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣٠٩/٤).

(٢) أخرجه الإمام مالك (ك: الحج، ح: ١٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/٩ ح: ٨٤٧٨)، والحاكم (ك: معرفة الصحابة، ٣٨٨/٣)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين)، ووافقه الذهبي.

(٤) الحرورية اسم من أسماء الخوارج، وسموا بها لنزولهم في أول أمرهم في موضع يقال له: حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة، وكان ذلك حين انشقوا عن جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعد معركة صفين، وتجمعوا في هذا المكان، والخوارج فرق متعددة، ولهم أقوال وآراء مختلفة ومتضاربة، ولكن جمهورهم مجمعون على القول بتكفير

⇦

وهم ستة آلاف، أتيت عليا فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك. قلت: كلا، قال ابن عباس: فخرجت إليهم، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس! فما هذه الحلة؟ قال: قلت: ما تعيبون علي لقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[الأعراف: ٣٢] قالوا : فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد...الحديث[(١)].

فقد احتج حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على ضلال الخوارج بأنه ليس فيهم واحد من الصحابة.

وعن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه قال: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا)[(٢)]، وقال أيضا: (لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال، أمور تكون من كبرائكم، فأيما مُرَيّه أو رُجَيل أدرك ذاك الزمان، فالسمت الأول السمت الأول فأما اليوم على السنة)[(٣)]، وقال أيضا: (من كان منكم متأسيا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها

= ـــ

مرتكب الكبيرة، وتكفير أصحاب الجمل وصفين والحكمين وكل من رضي بالتحكيم، ووجوب الخروج على الحاكم إذا خالف السنة، ووجوب دخول مرتكب الكبيرة النار وخلوده فيها إذا مات من غير توبة عنها. انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٦٧-١٦٨)، والفرق بين الفرق (ص: ٧٢-٧٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٤٤-٤٥ و١٩٠-١٩١)، والملل والنحل (١/١٥٥-١٨٥)، والخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية (ص: ٣٢ و٣٣٦-٣٩٢ و٥٤٨-٥٤٩).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (ك: المناقب ٧/٤٧٩-٤٨١ ح: ٨٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (ك: قتال أهل البغي، ٢/١٥٠-١٥٢)، واللفظ له، وقد صحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك (٢/٦٢٣ برقم: ٧٦٤)، وقال المحقق: "موقوف بإسناد صحيح".

(٣) أخرجه الدارمي (١/٢٩٤-٢٩٥ برقم: ٢١٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩٧ برقم: ١٠٧)، واللفظ له.

علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)(١)، ونحوه جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أيضا(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يقول: (يا معشر القراء! استقيموا؛ فقد سُبِقْتُم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا)، وفي رواية بلفظ: (اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا)(٣).

وعن الحسن البصري أن عائذ بن عمرو – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ – دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن شر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم». فقال له: اجلس؛ فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ؛ فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم(٤).

قال النووي معلقا على قول عائذ بن عمرو رضي الله عنه: (وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم): (هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة، لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة)(٥).

فهذه جملة من أقوال الصحابة، وكلها تؤكد وجوب اتباع الصحابة في علمهم وعملهم وفهمهم للدين وتطبيقهم له ودعوتهم إليه، وتدل على كونهم صفوة الناس وسادات الأمة، وكونهم جميعا عدولا وقدوة من غير نخالة فيهم، وأن طريقهم طريق الحق والهداية والسلامة والنجاة، وأن ترك سبيلهم طريق الضلالة والهلاك.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٤٧/٢ برقم: ١٨١٠)، والإسناد فيه ضعف، ولكن الأثر لا بأس به، كما قال المحقق، وذلك لمجيئه من طرق أخرى، ومن أقوال غيره، وانظر: إعلام الموقعين (٥٧٩/٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٥/١-٣٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ح: ٧٢٨٢) باللفظ الأول، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٤٧/٢ برقم: ١٨٠٩) باللفظ الثاني من وجه آخر، وإسناده أيضا صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (ك: الإمارة ح: ١٨٣٠).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم (٢١٦/١٢).

المبحث الخامس: دلالة العقل والنظر في أحوال الصحابة على وجوب التمسك بفهمهم وعملهم

إن العقل السليم، والنظر الصحيح في أحوال الصحابة، والتأمل فيها بتجرد وإنصاف، يقتضي ويؤكد وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، وبيان ذلك وتفصيله وتقريره من وجوه، وهي كما يلي:

أولا: لا شك أن التابع كلما كان بالمتبوع ألصق كان بأقواله وأحواله وإرادته أعرف وأفهم وأحذق من غيره ممن لم يشاركه في هذه الخصلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم أسعد الناس بهذه الخصلة الكريمة، فهم صحبوا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وفي السلم والحرب، وشاهدوا التنزيل، وعاينوا الوقائع، وعرفوا أسباب النزول للآيات والسور القرآنية، وعرفوا أسباب الورود للأحاديث النبوية، ولذلك فهمهم للنصوص كان أعمق وأدق وأوسع وأصوب ممن جاء بعدهم[1].

ثانيا: هناك مدارك وميزات وأسباب وعوامل تساعد في فهم النصوص على الوجه الصحيح، وقد انفرد الصحابة بكثير منها، ولم يشاركهم فيها غيرهم البتة، وما شاركهم فيها غيرهم كان للصحابة منه النصيب الأكبر والحظ الأوفر، وقد ذكر ذلك ابن القيم وبينه أجمل بيان، فقال: (إن الصحابي إذا قال قولا أو حكم بحكم أو أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها عنا، ومدارك نشاركه فيها، فأما ما يختص به فيجوز أن يكون سمعه من النبي ﷺ شفاها، أومن صحابي آخر عن رسول الله ﷺ، فإن ما انفردوا به من العلم عنا أكثر من أن يحاط به... فتلك الفتوى التي يفتي بها أحدهم لا تخرج عن ستة وجوه:

أحدها: أن يكون سمعها من النبي ﷺ.

الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها منه.

الثالث: أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فهما خفي علينا.

الرابع: أن يكون قد اتفق عليها ملؤهم، ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي بها وحده.

---

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (٢/٥٢١).

الخامس: أن يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا، أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب، أو لمجموع أمور فهموها على طول الزمان، من رؤية النبي ﷺ، ومشاهدة أفعاله وأحواله وسيرته، وسماع كلامه، والعلم بمقاصده، وشهود تنزيل الوحي، ومشاهدة تأويله بالفعل، فيكون فَهِمَ مالا نفهمه نحن.

وعلى هذه التقادير الخمسة تكون فتواه حجة يجب أتباعها.

السادس: أن يكون فهم ما لم يرده الرسول ﷺ، وأخطأ في فهمه، والمراد غير ما فهمه.

وعلى هذا التقدير لا يكون قوله حجة.

ومعلوم قطعا أن وقوع احتمال من خمسة أغلب على الظن من وقوع احتمال واحد معين، هذا مالا يشك فيه عاقل، وذلك يفيد ظنا غالبا قويا على أن الصواب في قوله دون ما خالفه من أقوال من بعده، وليس المطلوب إلا الظن الغالب، والعمل به متعين، ويكفى العارف هذا الوجه.

هذا فيما انفردوا به عنا. أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبا، وأعمق علما، وأقل تكلفا، وأقرب إلى أن يُوَفَّقُوا فيها لما لم نوفق له نحن؛ لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى.

فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل، ولا الى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين بل قد غُنُوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة، وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفيهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة إلى غير

ذلك من الأمور. فإذا وصلوا إلى النصوص النبوية إن كان لهم همم تسافر إليها وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السُّرى في سواها، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب تلك القوة، وهذا أمر يحس به الناظر في مسألة إذا استعمل قوى ذهنه في غيرها ثم صار إليها وافاها بذهن كالٍّ وقوة ضعيفة... والمقصود أن الصحابة أغناهم الله تعالى عن ذلك كله، فاجتمعت قواهم على تينك المقدمتين فقط، هذا إلى ما خصوا به من قوى الأذهان وصفائها وصحتها، وسرعة إدراكها وكماله، وكثرة المعاون، وقلة المعاوق، وقرب العهد بنور النبوة، والتلقي من تلك المشكاة النبوية. فإذا كان هذا حالنا وحالهم فيما تميزوا به علينا وما شاركناهم فيه فكيف نكون نحن أو شيوخنا أو شيوخهم أو من قلدناه أسعد بالصواب منهم في مسألة من المسائل، ومن حدث نفسه بهذا فليعزّها من الدين والعلم، والله المستعان)[1].

ثالثا: من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام... فلا يؤخذ إلا ممن تحقق به، وهذا واضح ومتفق عليه بين العقلاء؛ إذ من شروطهم في العالم بأي علم اتفق؛ أن يكون عارفا بأصوله وما ينبني عليه ذلك العلم، قادرا على التعبير عن مقصوده فيه، عارفا بما يلزم عنه، قائما على دفع الشبه الواردة عليه فيه، فإذا نظرنا إلى ما اشترطوه، وعرضنا الصحابة وغيرهم من أئمة السلف الصالح في العلوم الشرعية؛ وجدناهم قد اتصفوا بها على الكمال... فقد ذكروا أن العالم المتحقق بالعلم له ثلاث علامات، وهي:

الأولى: أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم؛ لأخذه عنهم، وملازمته لهم؛ فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك.

الثانية: الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بأدبه.

الثالثة: العمل بما علم؛ حتى يكون قوله مطابقا لفعله، فإن كان مخالفا له؛ فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يقتدى به في علم..

وهذه الأمور كلها متوفرة في الصحابة على أكمل الوجوه، فهم تلقوا هذا الدين بأصوله وفروعه من رسول الله ﷺ، ولازموه ملازمة الظل لصاحبه، وتمسكوا بأقواله وأفعاله وتقريراته،

---

(١) إعلام الموقعين (٦/١٨-٢٣).

وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه، وطبقوها في جميع شعب حياتهم، وأدوها إلى من بعدهم كما أدي إليهم، وأجابوا عن كل ما أورد إليهم من مسائل وشبه وإشكالات، وذكروا حلولها من بحور علمهم وفقههم، ولذلك فهم الصحابة لهذا الدين هو الحق الذي لا يعارض، والحكمة التي لا ينكسر قانونها، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها البتة[١].

رابعا: التأمل في أحوال الصحابة وما كانوا عليه من الفضل والعلم والنصح وصفاء القلوب، ونقاء الفطرة، ووحدة العقيدة والمنهج والمصدر، والسلامة من البدع والهوى، وعدم طمع الشيطان فيهم... كل ذلك يقتضي التمسك بفهمهم والأخذ بآرائهم ومتابعة آثارهم، وقد بين ذلك أهل العلم، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك باختصار مقتبسا من كلامهم في ذلك:

١- الصحابة أفضل هذه الأمة بعد نبيها: الصحابة زكاهم الله ورسوله، ولذلك هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها وخير طباقها، قال النووي: (إن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس، وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة، لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة)[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق المسلمون على أن أصحاب رسول الله ﷺ خير طباق الأمة)[٣]، وقال أيضا: (ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى)[٤]، وقال أيضا: (والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله)[٥]، وقال السعدي: (الصحابة رضي الله عنهم فوق جميع

---

(١) انظر: الموافقات (١/١٣٩-١٤٤).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/٢١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/٣٢٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/١٥٦).

(٥) منهاج السنة النبوية (٢/٨٠).

طبقات الأمة في كل فضل، وعلم، وعمل)[1].

٢- الصحابة أعلم هذه الأمة بعد نبيها: إن الله أمر النبي ﷺ بالبلاغ، وقد قام النبي ﷺ بما أمر به خير قيام، فبلغ ما أنزل إليه بيانا تاما وافيا كافيا شافيا، والذين كان بين لهم النبي ﷺ هم الصحابة، ولذلك كانوا أعلم الأمة بما أنزله الله، وبما جاء به الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وهم تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة؛ ففهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاها، ما لم يحصل لمن بعدهم. وكذلك كان يستفيد بعضهم من بعض ما لم يحصل لمن بعدهم)[2]، وقال أيضا: (وقد تأملت من هذا الباب ما شاء الله، فرأيت الصحابة أفقه الأمة وأعلمها)[3]، وقال ابن القيم: (إنهم أفقه الأمة، وأعلمهم بمقاصد الشرع وحكمه)[4]؛ فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أكثر هذه الأمة علما وأعمقهم معرفة في الدين بعد النبي الكريم ﷺ.

٣- الصحابة قلوبهم من خير قلوب العباد: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقول عبدالله بن مسعود كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا كلام جامع بَيَّنَ فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبَيَّنَ فيه

---

(١) تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله (ص: ٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٨٨/٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٨٢/٢٠).

(٤) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (٥٣١/٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٨٤/٦ برقم: ٣٦٠٠)، وفي فضائل الصحابة (٤٤٩/١-٤٥٠ برقم: ٥٤١)، واللفظ له، والحاكم (ك: معرفة الصحابة ٧٨/٣-٧٩) مختصرا، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبَيَّنَ فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف)[1].

وقال السفاريني: (فخير قلوب العباد أحق الخلق بإصابة الصواب، فكل خيرٍ وإصابةٍ وحكمةٍ وعلمٍ ومعارفَ ومكارمَ إنما عُرِفَتْ لدينا، ووصلت إلينا من الرعيل الأول، والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء)[2].

فالصحابة رضوان الله عليهم قلوبهم خير قلوب العباد بعد قلوب الأنبياء والمرسلين، ولذلك الصحابة أحق الأمة بإصابة الحق والصواب، وأجدر الخلق بموافقة الكتاب والسنة.

٤- لا ينتصر لطائفة انتصارا مطلقا إلا الصحابة، والحق يدور معهم حيث داروا، ولا يجتمعون على غير الحق: الرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، لأن الله تعالى زكاهم ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راض، ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين، فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجمعوا على خلاف حق، بخلاف غيرهم من الطوائف والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق فإنهم قد يجمعون على ضلالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والواجب على كل مسلم يشهد: أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله يدور على ذلك ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة؛ فلا ينتصر لشخص انتصارا مطلقا عاما إلا لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصارا مطلقا عاما إلا للصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ)[3].

٥- الصحابة لم يكن عندهم خلاف في جلي الأمور، ولم يكن عندهم تأويل للنصوص على خلاف ما دلت عليه، وكانوا على عقيدة واحدة: لم يكن بين الصحابة رضوان

---

(١) منهاج السنة النبوية (٧٩/٢).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٣٨٠/٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢٦١/٥-٢٦٢).

الله عليهم خلاف في جلي الأمور وجليلها، ولم يكن عندهم تأويل للنصوص على خلاف ما دلت عليه، وكلهم كانوا على منهج واحد وعقيدة واحدة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وذلك (لأن بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه إلا من يخالف الرسول، وهم معتصمون بحبل الله، يحكمون الرسول فيما شجر بينهم، لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله)[١]. وقال أيضا: (إنهم كانوا أعظم الناس تصديقا لباطن أمر خبره وظاهره، وطاعتهم له في سرهم وعلانيتهم، ولم يكن أحد منهم يعتقد في خبره وأمره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ودلهم عليه وأرشدهم إليه، ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئا من نصوصه على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت)[٢]، وقال أيضا: (إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقتتلوا قط لاختلافهم في قاعدة من قواعد الإسلام أصلا، ولم يختلفوا في شيء من قواعد الإسلام: لا في الصفات، ولا في القدر، ولا مسائل الأسماء والأحكام، ولا مسائل الإمامة. لم يختلفوا في ذلك بالاختصام بالأقوال، فضلا عن الاقتتال بالسيف، بل كانوا مثبتين لصفات الله التي أخبر بها عن نفسه، نافين عنها تمثيلها بصفات المخلوقين، مثبتين للقدر كما أخبر الله به ورسوله، مثبتين للأمر والنهى والوعد والوعيد، مثبتين لحكمة الله في خلقه وأمره، مثبتين لقدرة العبد واستطاعته ولفعله مع إثباتهم للقدر)[٣]، وقال ابن القيم: (وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة، من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلا، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا، ولا ضربوا لها أمثالا، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع، حيث جعلوها عضين، وأقروا ببعضها وأنكروا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٥١-٢٥٢).

(٣) منهاج السنة النبوية (٦/٣٣٦).

بعضها من غير فرقان مبين)[1]، وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر: (إن الصحابة أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأنهم الذين شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، وأنهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي، الذي نزل القرآن بلغتهم، وأنهم الراسخون في العلم حقا، وأنهم متفقون على عقيدة واحدة، لم يختلف في ذلك اثنان)[2].

٦- الصحابة لم يكن فيهم أحد من أهل الكذب والبدع والهوى، ولم يطمع الشيطان فيهم البتة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم له لم يظهر فيهم من البدع ما ظهر فيمن بعدهم، لا في أمر القبور ولا غيرها، فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وإن كان فيهم من له ذنوب لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم، وكذلك البدع الظاهرة المشهورة مثل بدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة لم يعرف عن أحد من الصحابة شيء من ذلك بل النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة، وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم أو الخضر أو غيره، وكذلك مجيء الأنبياء إليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم إلى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد، وظنوا أنه كرامة من الله، وكان من إضلال الشياطين لهم، لم تطمع الشياطين أن توقع الصحابة في مثل هذا؛ فإنهم كانوا يعلمون أن هذا كله من الشيطان، ورجال الغيب هم الجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه، فلم يكن على عهدهم في الإسلام قبر يسافر إليه، ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركة شفاعته أو غير ذلك بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل ﷺ وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم لشيء من ذلك)[3]، وقال أيضا: (ولهذا لم يطمع الشيطان أن ينال منهم من الإضلال والإغواء ما ناله ممن بعدهم، فلم يكن فيهم من يتعمد الكذب على النبي ﷺ... ولم يكن فيهم أحد من أهل البدع المشهورة: كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، بل كل هؤلاء إنما حدثوا فيمن بعدهم، ولم يكن فيهم من طمع الشيطان أن يتراءى له في صورة بشر، ويقول : أنا

(١) إعلام الموقعين (٩١/١).

(٢) الدرر السنية (١٢٥/٣).

(٣) الإخنائية (ص: ٢٨٧)، وانظر: الصارم المنكي (ص: ١٢٤-١٢٥).

الخضر أو أنا إبراهيم أو موسى أو عيسى أو المسيح أو أن يكلمه عند قبر حتى يظن أن صاحب القبر كلمه؛ بل هذا إنما ناله فيمن بعدهم... والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله أو جهلوا السنة أو رأوا وسمعوا أمورا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين، كما أضل النصارى وأهل البدع بمثل ذلك...)[١].

خامسا: لو قدر أن رهطا من الناس يريدون بلدة معينة، وأمامهم عدة طرق، وواحد منها فقط هو الذي يوصل إلى ذلك البلد المعين والمنزل المقصود، ولكنه مختلط بتلك الطرق المتعددة ولا يتميز، وضائع ومجهول فيها ولا يُدرى ولا يُعْرف، وبينما هم في حيرة شديدة من أمرهم إذا طلع عليهم رجل خبير وخريت ماهر، وعالم بالطريق الموصلة، وناصح لهم، فبينها لهم وعينها وحددها، فصدقته طائفة وسارت حتى وصلت المدينة ووجدت المنزل والغاية، ونجت من الهلاك والضياع، وترددت الأخرى وتأخرت حتى بلغها وصول الطائفة الأولى بأمن وسلام.

ولا يشك عاقل هنا أن في هذه الحالة يجب على الطائفة الثانية أن تواصل سيرها على الطريق التي مشت عليه الطائفة الأولى، وأنه لا يجوز لها أن ترغب بنفسها عن متابعتهم وإلا كان الضلال والضياع والشقاء حليفهم، والهلاك والردى والعذاب نصيبهم.

وأصحاب رسول الله ﷺ قد أخبرنا الله تعالى بأنه رضي عنهم، وأنه وعد كل واحد منهم بالحسنى، والتي هي الجنة، فلا يجوز لمن جاء بعدهم أن يلتمس رضى الرب ودخول الجنة بترك سبيلهم واتباع طريق غير طريقهم[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٣٨٩-٣٩١).

(٢) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (٢/٥٢١-٥٢٢).

المبحث السادس: حث الأئمة على التمسك بفهم الصحابة وعملهم وتحذيرهم من مخالفتهم، وذكر جملة من أقوالهم في ذلك

لا شك أن التمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة هو سبيل النجاة والفلاح، ولكن جميع الفرق المنحرفة تنتسب إلى الكتاب والسنة، وهي لا تجرؤ على التبرؤ منهما، ولذلك اتباع الصحابة والأخذ بفهمهم والاعتبار بعملهم والاهتداء بهديهم هو الميزان والفيصل في هذه الصورة بين الحق والباطل، وهو مناط النجاة والهداية، ومخالفته من سبل الفرق الهالكة التي هي تحت الوعيد لمخالفتها منهج الصحابة، وأهل السنة والجماعة امتازوا بالتمسك بهذا الميزان الفيصل، ولذلك التمسك بما كان عليه الصحابة أصل من أصولهم الثابتة، وأقوال أئمة هذا الشأن في بيان ذلك وتقريره والحث على التزامه والتحذير من مخالفته كثيرة جدا، وقد سبق ذكر جملة من أقوالهم في السطور الماضية، ولمزيد بيان وإيضاح وتقرير فيما يلي ذكر جملة أخرى منها:

عن عاصم، عن أبي العالية الرياحي قال: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتوه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنه الإسلام، ولا تحرفوا الإسلام يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم، والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء، فحدثت الحسن؛ فقال: صدق ونصح، قال: فحدثت حفصة بنت سيرين؛ فقالت: يا باهلي! أنت حدثت محمدا(١) بهذا؟ قلت: لا. قالت: فحدثه إذا)(٢).

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، قال: (أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكُفُوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك -بإذن الله – عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كَفُّوا، ولَهُم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه

---

(١) تعني أخاها محمد بن سيرين، كما ذكر محقق شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٦٣ رقم: ١٧).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٦٢-٦٣ رقم: ١٧).

عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصَر، وما فوقهم من مَحْسَر، وقد قصَّر قوم دونهم فجفوا، وطمَح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم)[1]. وقال أيضا: (سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا)[2]، ومثله ذكر الذهبي عن الإمام مالك بن أنس ١٧٩هـ من قوله[3].

وقال الحسن البصري عن أصحاب محمد ﷺ: (إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوما اختارهم الله لصحبه نبيه ﷺ؛ فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم)[4].

وعن صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم، فقلنا نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال الزهري: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، قال: قلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت[5].

وقال الإمام أبو حنيفة: (آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله، فما لم أجد في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم، وأدع من شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم)[6]، وقال أيضا: (ما بلغني عن صحابي أنه أفتى به فأقلده، ولا أستجيز خلافه)[7]، وقال أيضا: (عليك بالأثر وطريقة

(١) أخرجه أبو داود (ك: السنة، برقم: ٤٦١٢) وقال الألباني: (صحيح مقطوع).

(٢) حلية الأولياء (٣٢٤/٦)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٤)، والاعتصام (٣٠٦/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩٨/٨).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٤٦/٢ برقم: ١٨٠٧).

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٨٠/١٦).

(٦) مناقب أبي حنيفة وصاحبيه (ص: ٣٣-٣٤)، وتهذيب الكمال (٤٤٣/٢٩ ترجمة النعمان بن ثابت التيمي، أبي حنيفة الكوفي برقم: ٦٤٣٩)، واللفظ له، وتهذيب التهذيب (٢٣٠/٤).

(٧) شرح أدب القاضي (١٨٥/١).

السلف، وإياك وكل محدثة؛ فإنها بدعة)[1].

وقال الأوزاعي: (العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم)[2].

وقال الإمام مالك: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)[3]، وقال الشاطبي عن الإمام مالك: (ولما بالغ مالك في هذا المعنى بالنسبة إلى الصحابة، أو من اهتدى بهديهم، واستنَّ بسُنَّتِهم، فجعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك؛ فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره ويقتدون بأفعاله، ببركة اتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم، وجعلهم قدوة أو من اتبعهم)[4].

وعن عبد الصمد بن يزيد الصائغ، قال: ذُكِرَ عند الفضيل -وأنا أسمع- الصحابةُ، فقال: اتبعوا فقد كُفِيتم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[5].

وقال الإمام الشافعي: (لا يكون لك أن تقول إلا على أصل أو قياس على أصل، والأصل: كتاب، أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أو إجماع الناس، لا يكون أصل أبدا إلا واحدا من هذه الأربعة)[6]، وقال أيضا: (وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنَّاهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصدِّيقين والشهداء والصالحين، هم أدَّوْا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا، وعَزْماً وإرشاداً. وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمرٍ استدرك به علم واستنبط به.

---

(١) ذم الكلام وأهله (٤/٢١٣-٢١٤ برقم: ١٠١٥).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/٦١٨ برقم: ١٠٦٧ و١/٧٦٩ برقم: ١٤٢١)، وقال المحقق في الموضع الأخير: (إسناده حسن).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/٣٨٤ و٣٨٦-٣٨٧)، وإغاثة اللهفان (١/٣١٤).

(٤) انظر: الموافقات (١/١٣٩-١٤٤).

(٥) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/٤٤٨ ترجمة علي بن الفضيل بن عياض، برقم: ١١٥).

(٦) الأم (٩/٣٣٧).

وآراؤهم لنا أَحْمَدُ وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا)[1].

وقال إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد: (هو ألقى في قلوبنا منذ كنا غلماناً إتباع حديث رسول الله ﷺ، وأقاويلَ الصحابة، والاقتداء بالتابعين)[2].

وقال الإمام أبو داود: (إذا تنازع الخبران عن رسول الله ﷺ نُظِرَ إلى ما عمل به أصحابه من بعده)[3]؛ لأن عملهم يكون مبنيا على فهم معنى الخبرين[4].

وقال ابن أبي حاتم الرازي: (فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، ونصرته، وإقامة دينه، وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاما وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بَلَّغَهم عن الله عز وجل، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدَّبَ، ووَعَوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده؛ بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشَرَّفَهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب، والغلط والريبة والغمز، وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله: ﴿وَسَطًا ﴾ قال: «عدلا»[5]، فكانوا عُدُول عُدُول الأمة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال:﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾[النساء: ١١٥] الآية)[6].

---

(١) مناقب الشافعي (١/٤٤٢).

(٢) طبقات الحنابلة (١/٢٣٤ ترجمة: إبراهيم بن إسحاق الحربي برقم: ٨٦).

(٣) السنن (ص: ١٢٨ بعد الحديث رقم: ٧٢٠).

(٤) انظر: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية (ص: ١٥٨).

(٥) جاء تفسير هذه الآية في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث طويل، وجاء فيه من قول النبي ﷺ مرفوعا: مرفوعا: «الوسط: العدل» أخرجه البخاري (ك: التفسير، ح: ٤٤٨٧).

(٦) الجرح والتعديل (١/٧-٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الواجب على المسلم أن يلزم سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما تنازعت فيه الأمة وتفرقت فيه إن أمكنه أن يفصل النزاع بالعلم والعدل، وإلا استمسك بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، وأعرض عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، فإن مواضع التفرق والاختلاف عامتها تصدر عن اتباع الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى.. والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله)[1]، وقال أيضا: (وإنما المتَّبَع عند علماء الإسلام في إثبات الأحكام هو: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسبيل السابقين الأولين، ولا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا أو استنباطا بحال)[2].

وقال ابن القيم: (فصل في الرأي المحمود، وهو أنواع: النوع الأول: رأي أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأصحهم قصودا، وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكا، وأصفاهم أذهانا، الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ما جاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل، فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم... والمقصود أن أحدا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم، وكيف يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته؟... وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورا وإيمانا وحكمة وعلما ومعرفة وفهما عن الله ورسوله ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا وساطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضا طريا لم يَشِبْه إشكال، ولم يَشِبْه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٢٣٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٩٣-٦٩٤)، وانظر: فقه الأدعية والأذكار (١/٢/٤٤١).

القياس)[1]، وقال أيضا: (وفهم أصحاب رسول الله ﷺ عن الله أولى من فهم من شذ عنهم من المتأخرين، وبالله التوفيق)[2]، وقال أيضا مبينا فضل الصحابة، وما كانوا عليه من النور والبصيرة، والصلاح والتقوى، وأنهم أعلام الهدى ومنابر النور والضياء للحيارى والتائهين في بيداء الظلام والضلال، وأنه يجب التمسك بهديهم وسلوك طريقهم:

يا باغي الإحسان يطلب ربه ... ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدي الصحابة والذي ... كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا ... خذ يمنة ما الدرب ذاتَ شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى ... سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه ... وبه اقتدوا في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغي الهدى ... فمآله في الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم ... الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيء ... والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم ... وسواهم بالضد في ذي الحال
ما شابهم في دينهم نقض، ولا ... في قولهم شطح الجهول الغالي
عملوا بما علموا، ولم يتكلفوا ... فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
وسواهمُ بالضد في الأمرين، إذ ... تركوا الهدى، ودعوا إلى الإضلال
فهم الأدلة للحيارى، من يَسِرْ ... بهداهمُ لم يخش من إضلال
وهم النجوم هداية وإضاءة ... وعلو منزلة وبُعْد منال
يمشون بين الناس هونا نطقهم ... بالحق لا بجهالة الجهال
حلما وعلما مع تقى وتواضع... ونصيحة، مع رتبة الإفضال
يُحيون ليلهم بطاعة ربهم ... بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم ... مثل انهمال الوابل الهطال

---

(١) إعلام الموقعين (٢/١٤٩-١٥٣).
(٢) زاد المعاد (٥/٦٥٤).

في الليل رهبان وعند جهادهم ... لعدوهم من أشجع الأبطال

وإذا بدا علم الرهان رأيتهم ... يتسابقون بصالح الأعمال

بوجوههم أثر السجود لربهم ... وبها أشعة نوره المتلالي

ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم ... في سورة الفتح المبين العالي

وبرابع السبع الطوال صفاتهم ... قوم يحبهم ذوو إدلال

وبراءة والحشر فيها وصفهم ... وبهل أتى وبسورة الأنفال[١]

وقال ابن أبي العز٧٩٢هـ: (السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال)[٢].

وقال السفاريني ١١٨٨هـ: (ولا يرتاب أحد من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقق بتحقيقهم، فأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ وأي خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ تالله! لقد وردوا ينبوع الحياة عذبا صافيا زلالا، ووطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالا، فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان، والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن، فلا معروف إلا ما عنهم عرف، ولا برهان إلا ما بعلومهم كشف، ولا سبيل نجاة إلا ما سلكوه ، ولا خير سعادة إلا ما حققوه وحكوه، فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس بنشر ذكرهم، وما تنمقت الطروس بعرف مدحهم وشكرهم، وليس في الأمة أيضا كالصحابة - رضي الله عنهم- في الإصابة للحكم المشروع والهدي المتبوع، فهم أحق الأمة بإصابة الحق والصواب، وأجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب... فكل خيرٍ وإصابةٍ وحكمةٍ وعلمٍ ومعارفَ ومكارمَ إنما عُرِفَتْ لدينا، ووصلت إلينا من الرعيل الأول، والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٥٨-٣٥٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٤٤).

ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء)[1].

وقال الشيخ ابن باز: (الذي أصلح أول هذه الأمة هو السير على منهاج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وصحابته المرضيين وإتباعهم بإحسان، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا تمسكهم بذلك وسيرهم عليه. وفق الله المسلمين لما فيه نجاتهم وسعادتهم وعزهم في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم)[2].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/٣٧٩-٣٨٠).

(٢) التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة (ص: ٥٩).

المبحث السابع: إذا اختلفت آراء الصحابة وأقوالهم

إذا اختلف قول الصحابة ورأيهم واجتهادهم وعملهم فيؤخذ منه ما يدل عليه القرآن والحديث أحدهما أو كلاهما، وذلك عملا بالكتاب والسنة وتقديما لهما على غيرهما، وإذا لم نجد في القرآن والحديث شيئا في ذلك نأخذ ما ذهب إليه الخلفاء الراشدون، وما قاله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وما كان عليه جمهور الصحابة، وإذا لم نجد إلا قول صحابي واحد وليس له مخالف، يؤخذ به ويتمسك، وهذا الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الدين.

فعن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاء، فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله ﷺ جمع رؤوس الناس وخيارهم، فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به[(١)].

وعن شريح أنه كتب إلى عمر يسأله، فكتب إليه: أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله؛ فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ؛ فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولم يقض به الصالحون؛ فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيرا لك، والسلام عليكم[(٢)].

وعن عبيد الله بن أبي بريدة قال: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء فكان في كتاب الله قال به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان من رسول الله ﷺ فيه شيء قال به، فإن لم يكن عن رسول الله ﷺ فيه شيء قال بما قال به أبو بكر وعمر، فإن لم يكن لأبي بكر

---

(١) أخرجه الدارمي (١/٢٦٢ح: ١٦٣).

(٢) أخرجه النسائي (ك: آداب القضاة، برقم: ٥٣٩٩)، وقال الألباني: (صحيح الإسناد موقوف).

وعمر فيه شيء قال برأيه[١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي، ولسنا هنالك، ثم إن الله عز و جل قدر علينا أن بلغنا ما ترون، فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم، فليقض بما في كتاب الله، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه ﷺ، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه ﷺ؛ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله، ولا قضى به نبيه ﷺ، ولا قضى به الصالحون؛ فليجتهد رأيه، ولا يقول: إني أخاف، وإني أخاف؛ فإن الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبين ذلك أمور مشتبهات؛ فدع ما يريبك إلى مالا يريبك، وفي رواية عند الحاكم: فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقر، ولا يستحي[٢].

وعن سعيد بن جبير قال: (ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين)[٣].

وعن حماد بن زيد قال: سمعت أيوب يقول لعثمان البتي: إذا سمعت أمرا عن النبي ﷺ أو بلغك فانظر ما كان عليه أبو بكر وعمر فشد به يديك[٤].

وعن خالد الحذاء قال: كانوا يرون الناسخ من حديث رسول الله ﷺ ما كان عليه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٥].

وعن يحيى بن سعيد قال: كان أبو بكر وعمر أتبع الناس لهدي رسول الله ﷺ[٦].

وعن الإمام مالك بن أنس قال: (إذا جاء عن النبي ﷺ حديثان مختلفان، وبلغنا أن أبا بكر وعمر عملا بأحد الحديثين، وتركا الآخر، كان في ذلك دلالة أن الحق فيما عملا به)[٧].

---

(١) أخرجه الحاكم (ك: العلم، ١٢٧/١)، وقال: (صحيح على شرط الشيخين، وفيه توقيف، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي (ك: آداب القضاة، برقم: ٥٣٩٧)، واللفظ له، الدارمي (٢٦٤/١ح: ١٦٧)، والحاكم: (ك: الأحكام ٩٤/٤)، قال النسائي: (هذا الحديث جيد جيد)، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: (صحيح الإسناد موقوف).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٧٧١/١ برقم: ١٤٢٥)، وقال المحقق: (إسناده لا بأس به).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٣/٣).

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٣/٣).

(٦) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٣/٣).

(٧) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٣/٣).

وقال الإمام الشافعي: (إذا جاء عن أصحاب النبي ﷺ أقاويل مختلفة، ينظر إلى ما هو أشبه بالكتاب والسنة، فيؤخذ به)[1]، وقال أيضا: (وإنما العلم اللازم الكتاب والسنة، وعلى كل مسلم اتباعهما... ما كان الكتاب والسنة موجودَين فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحد منهم، ثم كان قول الأئمة أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، فَيُتَّبَع القول الذي معه الدلالة، لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس، ومن لزم قوله الناس كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر، وقد يأخذ بفتياه أو يدعها، وأكثر المفتين يفتون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا تُعْنَى العامةُ بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام، وقد وجدنا الأئمة يبتدئون فيسألون عن العلم من الكتاب والسنة فيما أرادوا أن يقولوا فيه، ويقولون فيخبرون بخلاف قولهم، فيقبلون من المخبر، ولا يستنكفون على أن يرجعوا؛ لتقواهم الله وفضلهم في حالاتهم، فإذا لم يوجد عن الأئمة فأصحاب رسول الله ﷺ من الدين في موضع أخذنا بقولهم، وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع من بعدهم. والعلم طبقات شتى: الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ، ولا نعلم له مخالفا منهم، والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك. والخامسة: القياس على بعض الطبقات. ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى)[2].

وقال الإمام أحمد: (ما أجبت في مسألة إلا بحديث عن رسول الله ﷺ إذا وجدت في ذلك السبيل إليه، أو عن الصحابة، أو عن التابعين، فإذا وجدت عن رسول الله ﷺ لم أعدل إلى غيره، فإذا لم أجد عن رسول الله ﷺ فعن الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين، فإذا لم أجد عن الخلفاء فعن أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر فالأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا لم أجد فعن التابعين، وعن تابعي التابعين، وما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث بعمل له ثواب إلا

(١) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ١٧٩)، وانظر: إيقاظ هيم أولي الأبصار (ص: ٢٥٨).

(٢) الأم (٨/٧٦٣-٧٦٤).

عملت به رجاء ذلك الثواب ولو مرة واحدة)[1].

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ٣٦٠هـ: (فمن صفة من أراد الله عز وجل به خيرا، وسلم له دينه، ونفعه الله الكريم بالعلم، المحبة لجميع الصحابة، ولأهل بيت رسول الله ﷺ، ولأزواج رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم، ولا يرغب عن طريقتهم، وإذا اختلفوا في باب من العلم فقال بعضهم: حلال، وقال الآخر: حرام، نظر: أي القولين أشبه بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ، وسأل العلماء عن ذلك إذا قصر علمه، فأخذ به، ولم يخرج عن قول بعضهم، وسأل الله عز وجل السلامة، وترحم على الجميع)[2].

وقال البغوي في شرح حديث عرباض بن سارية رضي الله عنه: (وفيه دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولا، وخالفه غيره من الصحابة، كان المصير إلى قوله أولى)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما أقوال الصحابة؛ فإن انتشرت ولم تنكر في زمانهم، فهي حجة عند جماهير العلماء، وإن تنازعوا رُدَّ ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، ولم يكن قول بعضهم حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء، وإن قال بعضهم قولا ولم يقل بعضهم بخلافه ولم ينتشر؛ فهذا فيه نزاع، وجمهور العلماء يحتجون به)[4].

وقال الشاه ولي الله الدهلوي مبينا وملخصا طريقة أهل العلم الراسخين من المحدثين وغيرهم في هذا الباب: (كان عندهم أنه إذا وجد في المسألة قرآن ناطق، فلا يجوز التحول منه إلى غيره، وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه، فإذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا سنة رسول الله ﷺ سواء كان مستفيضا دائرا بين الفقهاء، أو يكون مختصا بأهل بلد أو أهل بيت أو بطريق خاصة...، ومتى كان في المسألة حديث فلا يتبع فيه خلاف أثر من الآثار، ولا اجتهاد أحد من المجتهدين، وإذا فرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث، ولم يجدوا في المسألة حديثا

---

(١) المسودة في أصول الفقه (٢/٦٥٢-٦٥٣).

(٢) الشريعة (٤/١٦٩١-١٦٩٢).

(٣) شرح السنة (١/٢٠٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/١٤).

أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين، ولا يتقيدون بقوم دون قوم، ولا بلد دون بلد، كما كان يفعل من قبلهم، فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المقنع، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم علما وأورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطا أو ما اشتهر عنهم، فإن وجدوا شيئا يستوي فيه قولان فهي مسألة ذات قولين، فإن عجزوا عن ذلك أيضا تأملوا في عمومات الكتاب والسنة وإيماءاتهما واقتضاءاتهما، وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب إذا كانتا متقاربتين...، هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم)[1].

فهذه هي أصول أهل العلم الراسخين وتصريحاتهم في هذا الباب، وهذه هي طريقتهم عند التعارض والترجيح وعدم معرفة الدليل الواضح الصريح من الكتاب والسنة، ولكي ينجلي الأمر ويتضح المقال ويزداد في الوضوح والبيان أذكر بعض النماذج والأمثلة على ذلك، فقد قيل: بالمثال يتضح المقال، وهي كما يلي:

• لما توفي النبي ﷺ أشكل ذلك على بعض الصحابة، وصعب عليهم تصديق خبر وفاة النبي ﷺ وموته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر ﷺ خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس؛ فأقبل إليه الناس وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد! من كان منكم يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا ﷺ قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾ إلى ﴿... ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: واللهِ! لكأن الناسَ لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ﷺ فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: والله! ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرْتُ حتى ما تُقِلُّنِي رجلايَ وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات[2].

فالشاهد هنا أن الصحابة اختلفوا بعد وفاة رسول الله ﷺ في موته، ولكن لما بين لهم أبو بكر الصديق ﷺ أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب لأحد من البشر البقاء والدوام في هذه

---

(١) حجة الله البالغة (١/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (ك: المغازي، ح: ٤٤٥٤).

الدنيا، حتى إن الأنبياء والمرسلين الذين هم أكرم الخلق عند الله تعالى لم يكتب لهم الخلود فيها؛ فقد مات الأنبياء السابقون، وكذلك مات نبينا ورسولنا وحبيبنا محمد ﷺ، وتلا عليهم الصديق القرآن الكريم في ذلك، فكلهم أيقنوا بوفاة رسول الله ﷺ وموته، وذهب ما كان لدى بعضهم من الشك والريبة والتردد في ذلك، ولذلك اتفقوا على دفنه وإلا لو كان حيا ما كان الصحابة ليدفنوه وهو حي ﷺ، وحاشاهم من ذلك.

• ولكنهم قبل أن يدفنوه ﷺ اختلفوا في تحديد موضع قبره و تعيين مكان دفنه، فعن الحسن البصري، قال: كان المسلمون اختلفوا في دفن رسول الله ﷺ أين يدفن، فقالت طائفة منهم: يدفن في البقيع حيث اختاره رسول الله ﷺ لولده وللمسلمين، قال : فقالوا: أتبرزون قبر رسول الله ﷺ كلما أحدث أحد حدثا عاذبه؟! قال: وقال طائفة: ندفنه في المسجد؛ فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ غُشِيَ عليه؛ فلما أفاق قال: «قاتل الله أقواما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فعرفوا أن ذلك نهيا منه، فقالوا: يدفن حيث اختار الله أن يقبض روحه فيه، فحفر له في بيت عائشة[١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر ﵁: سمعت من رسول الله ﷺ شيئا ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» ادفنوه في موضع فراشه[٢].

فالشاهد هنا أن الصحابة اختلفوا بعد وفاة رسول الله ﷺ في موضع دفنه، واقترح بعضهم دفنه في المسجد النبوي، ولم يكن عند من اقترح هذا الاقتراح علم بنهي النبي ﷺ عن الدفن في المساجد، فبينت لهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نهي النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وبين لهم أبو بكر الصديق ﵁ أن الأنبياء يدفنون حيث تقبض أرواحهم،

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٣٨/٣ ح: ٨٠٤)، والأثر رجاله ثقات، والحسن البصري لقي عائشة رضي الله عنها وسمع منها، انظر للتفصيل: الجواب عن شبهة الاستدلال بالقبر النبوي على جواز اتخاذ القبور مساجد (ص: ١٩-٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (ك: الجنائز، ح: ١٠١٨)، وفي شمائله (ص: ٣٣١ح: ٣٩٠)، والحديث في إسناده ضعف ولكنْ له طرق وشواهد كثيرة، ولذلك صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥١٨/١ ح: ١٠١٨)، وفي مختصر الشمائل (ص: ١٩٥ ح: ٣٢٦-٣٢٧).

فكلهم رجعوا إلى حديث النبي ﷺ، وحفروا له موضع فراشه، ودفنوه فيه.

• لقد ثبت عن بعض الصحابة النهي عن الجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة، منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وثبت عن بعضهم الإذن بذلك، منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة، فعن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل: أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي! فقال الضحاك بن قيس: فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه[(١)].

وعن سالم بن عبدالله أنّه سمع رجلاً من أهل الشّام، وهو يسأل عبدالله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج؟ فقال عبدالله بن عمر: هي حلال. فقال الشّاميّ: إنّ أباك قد نهى عنها؟ فقال عبدالله بن عمر: أرأيتَ إنْ كان أبي نهى عنها، وصنعها رسول الله ﷺ أأمرَ أبي نتبع أمْ أمرَ رسولِ الله ﷺ؟ فقال الرّجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ[(٢)].

فالشاهد هنا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن وافقه ثبت عنهم المنع من الجمع بين الحج والعمرة في سفرة واحدة، ولكن ثبت الإذن بذلك عن النبي ﷺ، فالأخذ بقول النبي ﷺ وحكمه هو الواجب المتعين، كما قال وفعل سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة، ولذلك أهل العلم يفتون به ويعملون به، هم والمسلمون منذ عهد النبي ﷺ إلى الآن، وسيستمرون على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله تعالى، وما ذلك منهم إلا عملا بقول النبي ﷺ، وتقديما له وترجيحا على قول غيره كائنا من كان، وامتثالا لأمره واتباعا له ﷺ.

• وقد ثبت أن سالم بن عبد الله بن عمر كان يتحرى أماكن من الطريق، فيصلي فيها،

---

(١) أخرجه الترمذي (ك: الحج، ح: ٨٢٣)، والنسائي (ك: الحج، ح: ٢٧٣٤)، وقال الترمذي : (هذا حديث صحيح).

(٢) أخرجه الترمذي (ك: الحج، ح: ٨٢٤)، وإسناده صحيح، انظر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل (١٤٨/٥-١٤٩).

ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة(١)، فهذا الصحابي الجليل كان يتتبع آثار النبي ﷺ المكانية، وكان يصلي في مصليات النبي ﷺ في الطريق بين مكة والمدينة، ولكن ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نهى عن تتبع آثار الأنبياء وقصدها للصلاة؛ فعن المعرور بن سويد الأسدي قال: كنت مع عمر بين مكة والمدينة، فصلى بنا الفجر فقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل:١]، و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١]، ثم رأى أقواما ينزلون فيصلون في مسجد فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبي ﷺ. فقال: إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعا، مَن مَرَّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض(٢)، وهو عند ابن وضاح القرطبي بلفظ: (فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبا، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين! مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعا، من أدركته الصلاة منكم في هذا المسجد فليصل فيه، ومن لا فليمض ولا يتعمدها)(٣). وكذلك لما بلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن قوما يأتون إلى تلك الشجرة التي بايع الصحابة النبي ﷺ تحتها بيعة الرضوان، وأنهم يصلون عندها، فتوعدهم عمر الفاروق على ذلك، ثم أمر بقطعها فقطعت، فعن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت(٤).

فالشاهد هنا أنه ثبت عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر تتبع آثار النبي ﷺ المكانية

(١) أخرجه البخاري (ك: الصلاة، ح: ٤٨٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/١١٨-١١٩ برقم: ٢٧٣٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/١٥٠ برقم: ٧٥٥٠)، وابن وضاح في البدع (ص: ٧٨-٧٩ برقم: ١٠٥-١٠٦)، والأثر صحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموعة الرسائل والمسائل (٥/٢٦١)، ومجموع الفتاوى (١/٢٨١)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص: ١٦١)، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (١/٥٦٩) بأنه ثابت.

(٣) البدع (ص: ٧٨ برقم: ١٠٥).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/١٠٠)، وصحح إسناده الحافظ في فتح الباري (٧/٤٤٨)، ولكن في الإسناد انقطاع بين نافع وعمر، انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور المساجد (ص: ١٢٥-١٢٦).

وتتبع مصليات النبي ﷺ بين مكة والمدينة للصلاة فيها، وثبت عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب النهي عن تتبع الآثار النبوية المكانية غير المقصودة وتحري الصلاة عندها، فهذان موقفان متباينان، وقد قال بكل واحد منها بعض الصحابة، فأي الموقفين أولى بالأخذ بالنسبة لنا معشر المسلمين؟، وأيهما أولى بالاتباع والأقرب إلى السنة؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مرجحا موقف عمر ومبينا وجه ترجيحه له: (فلما كان النبي ﷺ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبي في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب، وهذا هو الأصل فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل)[(١)]، وقال أيضا: (فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقا، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجا وعمارا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق؛ فإنهم أعلم بسنته، وأتبع لها من غيرهم، وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[(٢)]» وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع، وقول الصحابي وفعله إذا خالفه نظيره ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟)[(٣)]. وقال أيضا: (الصواب مع جمهور الصحابة؛ لأن متابعة النبي ﷺ تكون بطاعة أمره، وتكون في فعله، بأن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعله، فإذا قصد النبي ﷺ العبادة في مكان؛ كان قصد العبادة فيه متابعة له؛ كقصد المشاعر والمساجد. وأما إذا نزل في مكان بحكم الاتفاق لكونه

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص: ١٦١)، ومجموع الفتاوى (١/٢٨١).

(٢) جزء من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وهو حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في المبحث الثاني.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٦-٧٥٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/٤٦٦-٤٦٧).

صادف وقت النزول، أو غير ذلك مما يعلم أنه لم يتحر ذلك المكان، فإذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له؛ فإن الأعمال بالنيات)[1].

فالمتأمل في الموقفين بتجرد وإنصاف يجد أن رأي عمر الفاروق وفهمه هو الصواب هنا، وأنه هو الأقرب إلى السنة وألصق بمقصود الشريعة، وأنه بالنسبة لنا هو الواجب أخذه واتباعه والعمل به حتى تكون أعمالنا موافقة للنبي ﷺ في الصورة والقصد، وأنه لا يصح الاحتجاج بفعل ابن عمر لمخالفة أبيه الخليفة الراشد له، ولأن عمل كبار الصحابة وجمهورهم على خلافه، ولا شك أن الصواب مع جماعتهم وجمهورهم.

• ما يفعل من ترك أو نسي شيئا من نسكه، لم يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء، ولكن قال ابن عباس: (من نسي من نسكه شيئا أو تركه، فليهرق دما)[2]، ولذلك بوب عليه الإمام مالك بلفظ: (باب ما يفعل من نسي من نسكه شيئا)، واكتفى بإيراده الأثر المذكور، وابن عباس من أجلة الصحابة، وكان أعلم الناس في زمانه بمسائل الحج، وقد تلقى أهل العلم قوله هذا بالقبول، ولذلك يفتون بإيجاب الدم على من ترك شيئا من واجبات الحج أو نسيه، مثل الخروج من عرفة قبل الغروب، وترك المبيت بمزدلفة، وترك رمي الجمار جملة وغيرها[3].

الحاصل: إن فهم الصحابة للنصوص الشرعية وتفسيراتهم لها وأفعالهم وأقوالهم وآثارهم الثابتة عنهم حجة ونور وضياء، والتمسك بآثارهم والاهتداء بهديهم والاستنارة بنورهم هداية ورشد وشرف وفضيلة، وعدم الأخذ بفهمهم وقولهم وفعلهم وترك طريقهم وسلوك سبيل غير سبيلهم غواية وضلال وظلام، وإذا اختلفت أقوالهم وأفهامهم يؤخذ منها ما هو أقرب إلى الكتاب والسنة، وما عليه جمهورهم والسابقون الأولون منهم، ولا سيما الخلفاء الراشدون، وخاصة ما كان عليه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهم أجمعين، وبالله التوفيق.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مالك (ك: الحج، برقم: ٢٤٠)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في الكبرى (ك: الحج، ٥/١٥٢)، وفي الصغرى (ك: المناسك ٢/٢٠١ برقم: ١٧٣٣)، وإسناده صحيح، انظر: المنة الكبرى (٤/٢٧١-٢٧٢ و٣٣٣-٣٣٤)، وتبصير الناسك بأحكام المناسك (ص: ٣٣-٣٤).

(٣) انظر: الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل (٥/٣٦٨-٣٦٩).

المبحث الثامن: ذكر نماذج تطبيقية على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، وذلك لكونه هداية ووقاية من الانحراف والضلال

لقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والإجماع، والعقل السليم، وأقوال الصحابة، والنظر في أحوالهم وسيرتهم، على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم ووجوب اتباعهم والاقتداء بهم، ولا شك في ذلك، فإن التمسك بفهم الصحابة وعملهم امتثال لأمر الله ورسوله، وطاعة لله ورسوله، وهو سبيل الفلاح والرشاد، وجنة ووقاية من الانحراف والضلال، بل هو مناط النجاة والهداية، والفيصل بين الحق والباطل، ولا سيما عند حدوث الفتن، وافتراق الأمة، ووجود دعاة الضلالة، واختلاف المفاهيم، وكثرة الآراء، ولذلك الذين تمسكوا بهذا الأصل وفقوا للهداية، فبقوا على الصراط المستقيم، والذين تركوا هذا الأصل تنكبوا عن الصراط، ووقعوا في الضلال والانحراف، وفيما يلي ذكر نماذج تطبيقية وأمثلة واقعية على ذلك.

النموذج الأول: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت عليا فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم قال: إني أخاف عليك. قلت: كلا قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس! فما هذه الحلة؟ قال: قلت: ما تعيبون علي لقد رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾[الأعراف: ٣٢] قالوا : فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا، فإن الله يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] قال ابن عباس: وأتيت قوما لم أر قوما قط أشد اجتهادا منهم، مسهمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثني عليهم، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول، قلت: أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثا. قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ ﴾ [يوسف: ٤٠] وما للرجال وما للحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسْبِ ولم يغنم، فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:٩٥] فنشدتكم الله: أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾[النساء: ٣٥] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة، أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم قاتل ولم يسْبِ ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، ثم تستحلون منها ما يُسْتَحَلُّ من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم، فإن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب، فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: «اكتب يا عليُّ! هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله» فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم! إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا عليُّ! هذا ما اصطلح عليه محمد

بن عبد الله» فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلالة(١).

فهؤلاء الخوارج لما استقلوا بفهمهم ولم ينظروا إلى فهم الصحابة وقعوا في الضلالة، ولذلك احتج عليهم حبر الأمة بأنه ليس فيهم أحد من الصحابة، ولكنهم لما عرضوا فهمهم وما عندهم من الشبهات على هذا الصحابي الجليل وحاوروه في ذلك بتجرد وإنصاف تبين لهم الحق واتضح لهم الصواب، فرجع من رجع منهم عما كانوا عليه وتابوا، وعادوا إلى الحق والهدى.

النموذج الثاني: عن يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم - جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي يبعثه الله فيه؟) قلت: نعم. قال : فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخْرِجُ الله به من يُخْرِجُ، قال: ثم نعت وضع الصراط ومَرَّ الناسِ عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فَيَخْرُجون كأنهم عيدان السماسم. قال: فيدخلون نهرا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا قلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد(٢).

فهذه العصابة ذات عدد كبير وكانت ترى رأي الخوارج، وكانت قد عزمت على الخروج، ولكنها لما التقت بهذا الصحابي الجليل وجلست إليه واستمعت إليه وعرضت

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (ك: المناقب ٧/٤٧٩-٤٨١ ح: ٨٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (ك: قتال أهل البغي، ٢/١٥٠-١٥٢)، واللفظ له، وقد صححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (ك: الإيمان، ح : ١٩١).

شبهتها عليه فأجاب هذا الصحابي عن شبهتهم وبين لهم الحق والصواب، فكان ذلك سببا لهداية تلك العصابة الكبيرة بكاملها ما عدا رجل واحد فقط، وكان ذلك سببا لحماية أموال الناس ودمائهم.

النموذج الثالث: عن عروة بن الزبير قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة: ١٥٨] فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة. قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي! إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله! إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. قالت عائشة رضي الله عنها وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

قال الزهري: ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: إن هذا العلم ما كنت سمعته، ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يذكرون أن الناس إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة، كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن، قالوا: يا رسول الله! كنا نطوف بالصفا والمروة، وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية.

قال أبو بكر: فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما، في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون، ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالى أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعدما ذكر الطواف بالبيت [1].

---

(١) أخرجه البخاري (ك: الحج، رقم: ١٦٤٣)، واللفظ له، ومسلم (ك: الحج، رقم: ١٢٧٧).

فهذا التابعي الجليل فهم الآية القرآنية على غير مرادها، واستنبط منها مسألة على غير وجهها، ولكنه بالرجوع إلى علم الصحابة وعرض فهمه على فهم الصحابية الجليلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وُفِّقَ لمعرفة الحق والصواب، ونجا من الخطأ، وسَلِمَ من الضلال.

النموذج الرابع: عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحُمَيْد بن عبدالرحمن الحِمْيَرِي حاجين أو معتمرين، فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والأخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ... الحديث[(١)].

فهؤلاء لما سمعوا بمقالة القدرية رغبوا في عرضها على الصحابة، فالتقوا بالصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وذكروا له ما قالته القدرية، فبين لهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خطورة قولهم وتبرأ منهم، وذكر لهم الحديث النبوي في ذلك.

النموذج الخامس: عن عمرو بن سلمة قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود ﷺ قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري ﷺ فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: لا، بعد. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج، قمنا إليه جميعا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر – والحمد لله – إلا خيرا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه. قال: رأيت في المسجد قوما حِلَقاً جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول: كَبِّرُوا مائة، فيكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيهلِّلون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيسبِّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتَهم أن يعُدُّوا سيئاتِهم، وضمنتُ لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى

(١) أخرجه مسلم (ك: الإيمان، ح: ٨).

حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم؟! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا «أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم» وأيم الله! ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج(١).

فهذا الصحابي الجليل احتج على ضلال أصحاب تلك الحلق بمخالفتهم لما عليه كان أصحاب رسول الله ﷺ، وتوعدهم بالهلكة لمخالفتهم إياهم، ولذلك يجب التمسك بفهم الصحابة وعملهم وهديهم؛ فإن التمسك بفهم الصحابة وهديهم هداية ونجاة وأمان، وترك سبيلهم ومخالفة هديهم غواية وضلالة، ومفض إلى الهلاك والعذاب.

النموذج السادس: قال المزني: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟

فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟

قلت: نعم.

قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون.

أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟

قلت: لا.

قال: هل تكلم فيه الصحابة؟

قلت: لا.

قال: تدري كم نجما في السماء؟

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (١/٢٨٦-٢٨٧ برقم: ٢١٠).

قلت: لا.

قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟

قلت: لا.

قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟!

ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه.

فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٣ – ١٦٤]، فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. قال: فتبت[(١)].

فالمزني كان عنده هواجس وخواطر تتعلق بالتوحيد، وكان في حيرة واضطراب منها، فذهب إلى شيخه الإمام الشافعي وعرض عليه ما عنده، فوجه الشافعي تلميذه إلى التركيز والاهتمام بما يهمه ويحتاج إليه كل يوم خمس مرات، وحثه على عدم الخوض والتكلم بما لم يتكلم به الصحابة ولم يخوضوا فيه، فكان ذلك سببا لصفاء قلبه وذهاب ما كان يجده من قبل.

النموذج السابع: قال الآجري: (وبلغني عن المهتدي رحمه الله أنه قال: ما فظع أبي يعني الواثق إلا شيخ جيء به من المصيصة، فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره يوما، فقال: عليَّ بالشيخ، فأُتي به مقيدا، فلما أوقف بين يديه سلَّم فلم يرد عليه السلام.

فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، ما استعملت معي أدب الله تعالى، ولا أدب

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٣١-٣٢).

رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦]، وأمر النبي ﷺ برد السلام!!

فقال له: وعليك السلام، ثم قال لابن أبي دؤاد: سله، فقال يا أمير المؤمنين: أنا محبوس مقيد، أصلي في الحبس بتيمم، مُنِعْتُ الماءَ فمر بقيودي تحل، ومر لي بماء أتطهر وأصلي، ثم سلني.

قال: فأمر، فحُلَّ قيده، وأمر له بماء، فتوضأ وصلى، ثم قال: لابن أبي دؤاد: سله.

فقال الشيخ: المسألة لي، تأمره أن يجيبني فقال: سل، فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق بعده؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال: لا، قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم؟ قال: لا، قال: فشيء لم يدع إليه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي رضي الله عنهم، تدعو أنت الناس إليه؟! ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه.

فإن قلت: علموه، وسكتوا عنه، وسعنا وإياك ما وسع القوم من السكوت، وإن قلت: جهلوه وعلمته أنا، فيا لُكَعُ بن لكع، يجهل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شيئا تعلمه أنت وأصحابك؟!

قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائما ودخل الحبرى، وجعل ثوبه في فيه، يضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن يقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع بن لكع يجهل النبي ﷺ وأصحابه شيئا تعلمه أنت وأصحابك؟!

ثم قال: يا أحمد، قلت: لبيك، قال: لست أعنيك، إنما أعني ابن أبي دؤاد، فوثب إليه فقال: أعط هذا الشيخ نفقته، وأخرجه عن بلدنا)

وفي رواية أوردها الذهبي في السير (...ثم أمر برفع قيوده، وأن يعطى أربع مائة دينار،

ويؤذن له بالرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد، ولم يمتحن بعدها أحدا)، وفي رواية: (قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن أبي رجع عنها منذ ذلك الوقت)[1].

فتأملوا هذه القصة المليحة، وانظروا كيف كان رد هذا الشيخ هذا الأمر العظيم إلى عمل الخلفاء الراشدين وسيرتهم، كان سببا لهداية الواثق والمهتدي، وكان سببا لرفع الخلاف واجتماع الكلمة، وكان ميزانا لمعرفة الحق والصواب في هذه المسألة المختلف فيها، وهكذا الشأن في المسائل الأخرى، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) الشريعة للآجري (١/٤٥٥-٤٥٧)، وتاريخ بغداد (٤/١٥١-١٥٢ و١٠/٧٥-٧٩)، والسير للذهبي (١١/٣١٢-٣١٣).

الخاتمة

أحمد الله عز وجل، وأشكره على عونه وتوفيقه لي في كتابة هذا البحث، والآن أختمه بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها، وبذكر التوصيات التي أراها مناسبة ومفيدة، والحاجة إليها داعية، فأبدأ بذكر النتائج، وهي كالآتي:

١- إن مرتبة الصحابة أشرف المراتب وأعلاها بعد الأنبياء والمرسلين، وكل من لقي النبي ﷺ في حالة الإيمان، ومات على ذلك، فهو من الصحابة، ولا يشترط لذلك طول الصحبة أو الرواية أو الغزو والجهاد معه ﷺ، ورؤية الصحابة للنبي ﷺ ليست رؤية مُجَرَّدة مثل رؤية الكفار والمنافقين بل إنها رؤية مقرونة بالإيمان والتصديق والاتباع والمحبة والنصرة والإيثار والتضحية، ولرؤيته ﷺ، ولقائه، والقرب منه، والجلوس عنده، والاستماع إليه من الخير والبركة والنور والضياء والفرح والسعادة ما لا ينكر، ولا يجحده إلا منكوس القلب ومطموس البصيرة.

٢- كل ما جاء في الكتاب والسنة من الثناء والمدح والذكر الجميل للمؤمنين الصحابة داخلون فيه دخولا أوليا، وبالإضافة إلى ذلك لقد تكاثرت الآيات القرآنية وتضافرت الأحاديث النبوية وتواترت في فضائل الصحابة على وجه الخصوص، ومنها الآيات والأحاديث الدالة على وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم، ووجوب اتباعهم والاهتداء بهم.

٣- لقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والإجماع، والعقل السليم، وأقوال الصحابة والنظر في أحوالهم وسيرتهم، على وجوب التمسك بفهمهم وعملهم ووجوب اتباعهم والاقتداء بهم.

٤- الصحابة أفضل هذه الأمة وأعلمها بعد نبيها ﷺ، وكلهم كانوا على منهج واحد، وعقيدة واحدة، ولم يكن عندهم تأويل للنصوص على خلاف ما دلت عليه، ولم يكن فيهم أحد من أهل الكذب والبدع والهوى، ولم يطمع الشيطان فيهم البتة، وقد شاهدوا التنزيل، وعاصروا الأحداث والوقائع، وتلقوا هذا الدين عن النبي ﷺ، مع صفاء قلوبهم، ونقاء سرائرهم، وسلامة فِطَرِهم، وتوقد أذهانهم، وقوة حفظهم، وجودة لغتهم وفصاحتهم، وحسن قصدهم وإرادتهم، وفوق ذلك كله اصطفاهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، وقد زكاهم الله ورسوله، ولذلك كانوا هم أفضل هذه الأمة وأعلمها بعد نبيها ﷺ، وصار علمهم أفضل علم الأمة وعملهم أفضل عمل الأمة، وما كان هذا شأنه يحرص عليه ويجب الأخذ والاعتبار والتمسك به، ولا

يجوز تركه وإهماله والتغاضي عنه في حال من الأحوال.

٥- إن من أهم أسباب ضلال الفرق المنتسبة إلى الإسلام وانحرافها هو إهمالهم لفهم الصحابة وعدم اعتبارهم بهديهم، ولذلك الذين تمسكوا بهذا الأصل الأصيل الثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل هدوا إلى الصراط المستقيم، ونجوا من الانحراف والضلال الذي وقعت فيه الفرق الأخرى.

٦-إن جميع الفرق الإسلامية المنحرفة مع تفاوتها في درجات الانحراف والضلال تنتسب إلى الكتاب والسنة، ولكن اتباع الصحابة والأخذ بفهمهم والنظر في أعمالهم واقتفاء آثارهم هو الفيصل في هذه الصورة بين الحق والباطل، وهو المقياس والميزان لمعرفة الصحيح من السقيم، وتمييز الأصيل من الدخيل.

٧- الأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى جمع الكلمة ووحدة الصف أكثر من ذي قبل، ولا بد لها من التصفية والغربلة لما دخل في أعمالها وعقائدها من البدع والخرافات والضلالات، والتمسك بالكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الدين هو الطريق الوحيد الناجح لهذه التصفية والغربلة، وبالتالي لجمع الكلمة ووحدة الصف للأمة الإسلامية، وعودتها إلى عزها ومجدها وسيادتها وقيادتها.

وأما التوصية التي أوصي بها في هذا المقام؛ فهي العمل الجاد على التعريف بالصحابة والدفاع عنهم، وبيان فضائلهم وحقوقهم وعظم مكانتهم في الدين، وغرس محبتهم وموالاتهم وتعظيمهم في النفوس على وجه العموم، وبيان وجوب التمسك بفهم الصحابة وعملهم على وجه الخصوص، وحث الناس على ذلك ودعوتهم إليه، ويكون ذلك على الصعيد العالمي والمحلي، في اللغات العالمية الحية المختلفة، مع استخدام وسائل النشر والإعلام المتاحة المتنوعة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

هذا، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما وفقني ويسر لي من إتمام هذا البحث، وأساله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعفو عني ويغفر لي، وأن يوفقني لما فيه الحق والصواب، وأن يجعل عملي كله خالصا لوجهه الكريم. اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، سبحانك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب العربية:

آداب الشافعي ومناقبه، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، ط. الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م دار الكتب العلمية، بيروت.

الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان للإمام ابن حبان البستي ٣٥٤هـ. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط. الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦هـ، تقديم: الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير ٧٧٤هـ، مع شرحه الباحث الحثيث للشيخ أحمد محمد شاكر، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م مكتبة المعارف الرياض، المملكة العربية السعودية.

الإخنائية أو الرد على الإخنائي، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ٧٢٨هـ، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، ط. الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م دار الخراز، جدة، المملكة العربية السعودية.

الإرشاد إلى توضيح لمعة الاعتقاد للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٦٢٠هـ، تأليف: الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي، ط. الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء – الجزائر العاصمة.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م المكتب الإسلامي بيروت.

الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، مصورة من طبعة كلكتا الهند عام ١٨٥٣م، صورته وطبعته دار الكتب العلمية بيروت، لنبان.

الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٥هـ. حققه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، الرياض.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. تقديم وتعليق وتخريج: مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الأولى ١٤٢٣هـ دار ابن الجوزي الدمام.

إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. تصحيح وتحقيق وتعليق: محمد عفيفي، ط. الرابعة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، بالتعاون مع المكتب الإسلامي بيروت.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق: الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل. مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الأم. للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ، تحقيق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، جمهورية مصر العربية.

الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ط. الثانية ١٤٢٣هـ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع القاهرة، جمهورية مصر العربية، ودار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية.

إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار، للإمام صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاني ١٢١٨هـ، تحقيق: أبي عماد السخاوي، ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الفتح، الشارقة.

البدع. لأبي عبد الله بن وضاح القرطبي، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، ط. الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م مكتبة ابن تيمية.

تاريخ بغداد[تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها]، لأبي بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.

تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ٥٧١هـ. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الفكر بيروت لبنان.

تبصير الناسك بأحكام المناسك على ضوء الكتاب والسنة والمأثور عن الصحابة، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ط. الثامنة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤هـ

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألباني، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مكتبة المعارف الرياض.

التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط. الخامسة ١٤٣٥هـ/٢٠١٤هـ، مدار الوطن للنشر، بالتعاون مع وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي.

تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ. تحقيق:

سامي بن محمد السلامة، ط. الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

تلخيص المستدرك، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، مطبوع مع المستدرك، إشراف: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ٤٦٣هـ. ط. عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية.

تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع على نفقة: محمد نصيف بجدة، الحجاز، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

تهذيب التهذيب. لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. باعتناء: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، وإشراف: شعيب الأرنؤوط، ط. الأولى ١٤٢٦هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي ٧٤٢هـ. تحقيق: بشار عواد معروف. ط. الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م مؤسسة الرسالة بيروت.

جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري القرطبي ٤٦٣هـ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام.

الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل، للأستاذ الدكتور أبي أحمد محمد عبد الله الأعظمي، المعروف بالضياء، ط. الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

الجرح والتعديل. لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ. ط. الأولى ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن الهند، وتصوير: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

الجواب عن شبهة الاستدلال بالقبر النبوي على جواز اتخاذ القبور مساجد، تأليف الأستاذ الدكتور صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، ط. الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، الناشر: المؤلف، وللتواصل: dr.saleh.s@gmail.com

حجة الله البالغة، للشيخ أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين، المعروف بشاه ولي الله الدهلوي ١١٧٦هـ، تحقيق: السيد سابق، ط. الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م دار الجيل، بيروت.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ٤٣٠هـ، ط. الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

الخوارج، تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، لشيخنا الدكتور غالب بن علي العواجي، ط. الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م المكتبة العصرية الذهبية، جدة، المملكة العربية السعودية.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني ١٣٩٢هـ. ط. الخامسة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. بدون ذكر الناشر.

ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبد الله بن علي بن محمد الأنصاري الهروي ٤٨١هـ، تخريج وتعليق: أبي جابر عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

زاد المعاد في هدي خير العباد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط. ط. السادسة والعشرون. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة المنار الإسلامية الكويت.

الزهد والرقائق. لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك المروزي ١٨١هـ تحقيق: أحمد فريد، ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م مكتبة المعارف الرياض المملكة العربية السعودية.

السنة لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

سنن ابن ماجه. لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط. الأولى مكتبة المعارف الرياض.

سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ٢٧٥هـ، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الثانية ١٤٢٤هـ، مكتبة المعارف الرياض.

سنن الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط. الأولى مكتبة المعارف الرياض.

السنن الصغير، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ط. الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٨م جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.

السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ، تقديم: الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، وإشراف: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م تحقيق: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. ط. الأولى ١٣٥٢هـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.

سنن النسائي. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط. الأولى مكتبة المعارف الرياض.

سير أعلام النبلاء. للحافظ محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقوسوسي. ط. التاسعة ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

شرح أدب القاضي للخصاف ٢٦١هـ، تأليف: عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري المعروف بالصدر الشهيد ٥٣٦هـ، تحقيق: محيي هلال السرحان، ط. الأولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن اللالكائي ٤١٨هـ. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. ط. الرابعة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م دار طيبة الرياض، المملكة العربية السعودية.

شرح السنة. لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ٣٢٩هـ. تحقيق: خالد بن قاسم الردادي. ط. الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، ط. الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق.

شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ، تحقيق: سعيد بن نصر بن محمد، ط. الأولى ١٤٠٢هـ/٢٠٠١م مكتبة الرشد، الرياض.

شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط. ط. الثالثة عشر ١٤١٩هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ٣٢١هـ، تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط. ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م مؤسسة الرسالة، بيروت.

شرح النووي لصحيح مسلم. يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ. ط. الثانية ١٣٩٣هـ دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

شمائل النبي ﷺ، لأبي عيسي محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ، تحقيق: الشيخ ماهر ياسين فحل، إشراف: الدكتور بشار عواد معروف ط. الأولى ٢٠٠٠م دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ٣٦٠هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط. الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الوطن للنشر، الرياض.

الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري الحراني ٧٢٨هـ، تحقيق: محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري، تقديم: الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني،

ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، رمادي للنشر، الدمام، ومؤتمن للتوزيع، الرياض. المملكة العربية السعودية.

الصارم المنكي في الرد على السبكي، تأليف: محمد بن أحمد بن عبد الهادي ٧٤٤هـ. ط، الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

صحيح البخاري. أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ. اهتمام: عبد المالك مجاهد. ط. الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

صحيح سنن الترمذي. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ. ط. عام: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مكتبة الرشد الرياض. المملكة العربية السعودية.

طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي ٥٢٦هـ، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.

الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد البصري ٢٣٠هـ. تحقيق: إحسان عباس، ط. الأولى ١٩٦٨هـ، دار صادر بيروت. بدون.

الطرق الحكمية في السياسية الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، تحقيق: نائف بن أحمد الحمد، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل: مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ونشر: دار عالم الفوائد للنشر.

ظلال الجنة في تخريج السنة. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط. الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. دار المعرفة بيروت، لبنان.

فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط. عام ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي الدمام، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح الخيرية، عنيزة، المملكة العربية السعودية.

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ٤٢٩هـ. دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري ٤٥٦هـ، ط. عام: ١٤٠٦/١٩٨٦هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

فضائل الصحابة. للإمام أحمد ابن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. تحقيق: د. وصي الله بن محمد عباس. ط. الثالثة ١٤٢٦هـ دار ابن الجوزي الدمام.

فقه الأدعية والأذكار، لشيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبع على نفقة وقف الشيخ إبراهيم بن حمد الوقيصي، بدون معلومات النشر الأخرى.

فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية والرد على الشبهات حوله، للدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، الأستاذ بالدراسات العليا بقسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط. الأولى ١٤٣٧هـ، دون معلومات النشر الأخرى.

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م تحت إشراف: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض.

كتاب الشريعة. لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ٣٦٠هـ. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. ط. الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الوطن الرياض.

كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط. الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

الكفاية في معرفة أصول علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ٤٦٣هـ، تحقيق وتعليق: أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياطي، ط. الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م دار الهدى، ميت غمر.

لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ٦٢٠هـ، وهو مطبوع ضمن جامع المتون، ط. الرابعة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، للشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ١١٨٨هـ، ط. الثالثة ١٤١١هـ/١٩٩١م المكتب الإسلامي، بيروت.

المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، للدكتور أحمد سردار محمد مهر الدين شيخ، ط. الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ، ط. الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار

الكتب العلمية بيروت، لبنان.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ٧٢٨هـ. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد. ط. عام: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. تحت إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

مختصر الشمائل المحمدية للترمذي، اختصره وحققه الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية عمان الأردن.

مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، تأليف: أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي ٧٧٧هـ، أشرف على تصحيحه: عبد المجيد سليم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مؤسسة المختار، القاهرة.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ، إشراف: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت لبنان.

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره. ط. الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

مسند إسحاق بن راهويه ٢٣٨هـ، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوشي، ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة.

مسند أبي يعلى. أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ٣٠٧هـ. تحقيق: حسين سليم أسد. ط. الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الثقافة العربية دمشق وبيروت.

مسند البزار (البحر الزخار) لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ٢٩٢هـ. تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن بن زين الله. ط. الأولى ١٤٠٩هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي للإمام عبدا لله بن عبد الرحمن الدارمي ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار المغني الرياض.

المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية، وهم: أبو البركات عبد السلام بن تيمية ٦٥٢هـ، وولده أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السلام ٦٨٢هـ، وحفيده أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ٧٢٨هـ، تحقيق: الدكتور أحمد بن إبراهيم بن عباس الذروي، ط. الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م دار الفضيلة الرياض.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ٧٧٠هـ، ط الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المصنف. لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ط. الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي بيروت.

المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ٢٣٥هـ. تحقيق: كمال يوسف حوت، ط. الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الرشد الرياض، المملكة العربية السعودية.

معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط. ١٤١٢هـ، دار طيبة، الرياض.

معتقد أهل السنة والجماعة، كما نقله الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني ٢٨٠هـ، تحقيق وتعليق: الدكتور سليمان بن محمد الدبيخي، ط. الثانية ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م وقفية خالد بن محمد البليهي رحمه لله، طباعة الكتب الشرعية، للمراسلة: waqf_albleahy@hotmail.com

المعجم الأوسط. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. ط. عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار الحرمين القاهرة.

المعجم الكبير. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط. الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م مكتبة ابن تيمية القاهرة.

معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الفكر، بيروت.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٦٥٦هـ. تحقيق: محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال. ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الكلم الطيب دمشق بيروت.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط. ١٤١١هـ/١٩٩٠م المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.

مقدمة ابن الصلاح، لأبي عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن موسى الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح ٦٤٣هـ، تحقيق: الدكتورة عائشة عبد الرحمن، المعروفة بـ"بنت الشاطئ"، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الملل والنحل. لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٥٤٨هـ. ط.عام: ١٩٨٦/١٤٠٦هـ دار المعرفة بيروت لبنان.

مناقب أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن

عثمان الذهبي ٧٤٨هـ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، وأبو الوفاء الأفغاني، ط. الرابعة ١٤١٩هـ، طبعت في بيروت، وعنيت بنشره: لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند.

مناقب الشافعي لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨ هـ، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م مكتبة دار التراث، القاهرة.

المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، تأليف: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط. الثانية ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م مكتبة الرشد، الرياض.

منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف: عثمان بن علي حسن، ط. الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مكتبة الرشد، الرياض.

منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة قرطبة.

الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٥هـ. حققه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، المملكة العربية السعودية.

الموطأ للأمام مالك بن أنس ١٧٩هـ، برواية يحيى بن يحيى الليثي، ط. الرابعة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ، تحقيق: عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر، ط. الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م دار ابن حزم بيروت، لبنان.

النهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث القاهرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ٦٠٦هـ. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

ثالثا: من الكتب المطبوعة في اللغة الأردية

أهل حديث كا منهج اور أحناف سي اختلاف كي حقيقت ونوعيت، تأليف: حافظ صلاح الدين يوسف، طبع أول، جولائي ٢٠١٢م، جمعية المناهل الخيرية، كواجرانواله باكستان.

محتويات البحث

****